الحكومة الليبية
الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية
الإدارة العامة للمعاهد الدينية

العقيدة

للسنة الثانية
بالمعاهد التخصصية للدراسات الإسلامية

إعداد لجنة المناهج

الطبعة الثانية
1444 - 1445 هجري
2022 - 2023 ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة، هو الدين الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده؛ إذ هو اعتقاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابته الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فمن خالفهم في ذلك فقد عرّض نفسه لعقاب الله الشديد ومقته وغضبه.

من أجل ذلك نضع هذا الكتاب بين أيدي أبنائنا جيل المستقبل؛ ليكون عوناً لهم على معرفة عقيدة الإسلام الصافية النقية من كل شرك وبدعة، بحيث يكون مرجعاً لهم في معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة في «أصول الدين».

وقد توخينا فيه الإيجاز في العبارة، واليسر في الأسلوب؛ ليناسب المرحلة العمرية لأبنائنا المنتسبين للمعاهد التخصصية «بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية».

وقد حرصنا على ذكر الأدلة في كل مسائل الكتاب؛ لربط طلابنا بالدليل الصحيح، وليعلموا أن المعتقد الصحيح مصدره الكتاب والسنة بفهم السلف الكرام، ليس الأوهام والخرافات ولا المنامات والقصص المختلقات.

واللّه من وراء القصد

مفردات الوحدة الأولى

- **أركان الإيمان**
  - الركن الأول (الإيمان بالله)
  - الركن الثاني (الإيمان بالملائكة)
  - الركن الثالث (الإيمان بالكتب)
  - الركن الرابع (الإيمان بالرسل)
  - الركن الخامس (الإيمان باليوم الآخر)

    أشراط الساعة

أركان الإيمان الستة

مقدمة

اعلم أيها الطالب أنَّ أصول عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

وهذه الأصول دلَّ عليها الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الأمة:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْـمَشْرِقِ وَالْـمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْـمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْـمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾

وفي الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".

وهذه الأصول العظيمة (وتسمى أركان الإيمان) اتفقت عليها الرسل والشرائع، ونزلت بها الكتب السماوية، ولم يجحدها أو شيئا منها إلا من خرج عن دائرة الإيمان وصار من الكافرين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالله وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ الله غَفُوراً رَحِيماً﴾.

الركن الأول
(الإيمان بالله)

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١- أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فُطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه». [رواه البخاري].

٢- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن تُوجِد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن تُوجَد صدفة، لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقا؟

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعا باتا أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظما حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولهذا «لما سمع جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ وكان جبير يومئذ مشركا قال: "كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي» [رواه البخاري].

ولنضرب مثلا يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مُشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأَسِرّة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وَعَدَدْتَ حديثه سفها من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق، دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤- وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن أعرابيا دخل يوم الجمعة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب، فقال: (يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا"، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت».

وما زالت إجابة الداعين أمرا مشهودا إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدا لرسله ونصرا لهم.

الثاني: الإيمان بربوبيته:

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ وقال: ﴿ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

ولم يعلم أن أحدا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابرا غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لله قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

وأمرُ الربِّ سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعا في العبادات أو حاكما في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته:

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) والإله بمعنى المألوه أي المعبود حبا وتعظيما، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وكل ما اتخذ إلها مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ الله هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة): ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ الله بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ وحكى عن هود أنه قال لقومه: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ الله بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ وحكى عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ الله بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة بِبرهَانَين عَقْليينِ:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيءٌ من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعا لعابديها، ولا تدفع عنهم ضررا، ولا تملك لهم حياة ولا موتا، ولا يملكون شيئا من السماوات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾.

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوتُ كُلِّ شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْـمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْـمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ الله فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ الله رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَلله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَهُ الْـمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

الأسئلة

س١: عدد أركان الإيمان مع ذكر دليل من الكتاب أو السنة.

س٢: ما الأمور التي يقوم عليها ويتضمنها الإيمان بالله سبحانه.

س٣: تحدث باختصار عن كل من:

أ) دلالة الفطرة على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ب) دلالة العقل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ج) الإيمان بالأسماء والصفات.

س٤: اضرب أمثلة لكل من:

أ) الأدلة الحسية على وجود الله سبحانه.

ب) آيات الأنبياء التي نصرهم الله بها.

س٥: ما المقصود بالرّب؟ وهل أنكره أحد من البشر؟ دلل لما تقول.

س٦: ما معنى الإله؟ وما البراهين التي أبطل الله بها عبادة الآلهة؟

الركن الثاني
(الإيمان بالملائكة)

يكون بالتصديق بوجودهم، وما ذكر لنا من أسمائهم، وما ذكر لنا من أعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل في سؤال جبريل للنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1].

وَصْفُ الملائكة:

وقد وصفهم الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء] وقال تعالى أيضا: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبياء] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ٢٠٦﴾ [الأعراف].

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٧.

علاقة الملائكة بالله عَزَّوَجَلَّ:

فهم عبيد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وخلق من مخلوقاته العظيمة، لا يستحقون شيئًا من العبادة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ ﴾[سبأ] وقال: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠ ﴾[آل عمران].

وهم مطيعون لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ولا يعصون أمره لقول الله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾[التحريم: ٦]

علاقة الملائكة بالكون:

هم مخلوقات موجودة في الدنيا، خلقت من نور، منهم من هو موكل بالقطر، ومنهم من هو موكل بقبض الأرواح، ومنهم من هو موكل بنفخ الصور، ومنهم من هو موكل بأعمال أخرى.

علاقة الملائكة بالإنسان:

أنّ منهم من هو موكل بنفخ روح الإنسان، ومنهم من هو موكل بحفظه، ومنهم من هو موكل بكتابة أعماله، ومنهم من هو موكل بقبض روحه، ومنهم من هو موكل بسؤاله بعد موته في قبره، ومن علاقتهم بالبشر أنهم يستغفرون للّذين آمنوا، ولهم علاقات أخرى بالإنسان ذُكِرت في الكتاب والسنة زيادة على ما ذكرنا.

صفة خلق الملائكة:

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الملائكةُ منْ نورٍ، وخُلِقَ الجَانُّ من مارجٍ من نارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا قد وُصِفَ لَكُمْ»[١].

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٤

ومن صفة خلقهم أن لهم أجنحة، فمنهم من له جناحان جناحانِ، ومنهم من له ثلاثةٌ ثلاثةٌ، ومنهم من له أربعةٌ أربعةٌ، وهكذا، قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾[فاطر]، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «أن النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رأى جِبْرِيلَ لهُ سِتُّمائةِ جَنَاحٍ»[(١)].

قدرتهم على التشكل:

وقد أقدرهم الله تعالى على التشكل بالأجسام الحسنة، كما تمثل جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لمريم بشراً سوياً وكما تمثلوا لإبراهيم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، عندما حلوا عليه ضيوفاً مكرمين، وكما تمثلوا للوطٍ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ عندما جاؤوا لإنزال العذاب بقومه، ونحو ذلك.

الرد على المشركين في قولهم: الملائكة بنات الله:

وقد ردَّ الله على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً فقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾[الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ١٥٦ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن

(١) صحيح البخاري ٤/ ١١٥

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الصافات]، ثم قال تعالى عن الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[الصافات].

الردُّ على من أنكر أن للملائكة أجساما:

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساما، وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْـمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْـمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْـمَوْتِ وَالْـمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾، وقال: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، وقال في أهل الجنة: ﴿وَالْـمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»، وفيه أيضا عنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر».

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

بعض أنواع الملائكة باعتبار ما وكلهم الله به:

- جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

منهم: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، الموكل بالوحي قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة].

وقد رآه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأَبْطح له ستمائة جناح، قد سد عظم خلقه الأفق، ثم رآه ليلة المعراج – أيضاً – في السماء كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم].

ولم يره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورته إلا هاتين المرتين، وأما بقية الأوقات ففي صورة رجل، وغالباً في صورة دِحْيَةَ الكلبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال تعالى في جبريل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير].

- ميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ

ومنهم: ميكائيل، وهو الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ قال الله تعالى في ميكائيل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة] وقد أخرج الإمام أحمد عن أنس أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لجبريل: «مالي لَمْ أرَ ميكائيل ضاحكاً قط؟» فقال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»[1].

---

(١) مسند أحمد ٢١/ ٥٥، إسناده صحيح، انظر « السلسلة الصحيحة» ٢٥١١.

- **إسرافيل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ومنهم: إسرافيل، وهو الموكل بالصور ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين.

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه من صلاة الليل: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» رواه مسلم(١).

وفي سنن النسائي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(٢)

- **ملك الموت** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ومنهم: ملك الموت، وهو الموكل بقبض الأرواح. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة].

- **ملائكة الحِفظِ عليهم السلام:**

ومنهم: الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم في كل حالاته من حل وسفر ونوم ويقظة. قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد]

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ «مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، فَإِذَا جَاءَ قَدَرُهُ خَلَّوْا عَنْهُ»(٣)

(١) صحيح مسلم ١/ ٥٣٤

(٢) سنن النسائي ٣/ ٧٢

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٤٥٨

- **الكرامُ الكاتبون عليهم السلام:**

والكَتَبَةُ يكتبون أقوالَ العباد وأفعالَهم، بل ويكتبون الهمَّ بالحسنة والسيِّئة؛ فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ الله: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ»، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد:١٢].

والمعنى أنَّ حفظَ الملائكة للإنسان هو ممَّا أمرهم الله به، والله بكلِّ شيء عليم، وهو يعلم أقوالَ العباد وأفعالَهم كُتبت أو لم تُكتَب، والكتابةُ إنَّما هي لإحصاء أعمال العباد وأقوالهم وإيقافهم عليها وإظهار عدل الله عَزَّوَجَلَّ فيهم، وأنَّه يُثيبُهم على أعمالهم الحسنة، ويُعاقبهم على أعمالهم السيِّئة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [سورة الزلزلة:٨].

والعقابُ يقع على الشرك، وكلُّ ذنب دونه فهو تحت مشيئة الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[سورة النساء]

- **كثرة الملائكة عليهم السلام:**

والملائكة خلقٌ كثير لا يحصي عددهم إلا الله، وقد أخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أن البيت المعمور في السماء «يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» متفق عليه(١).

(١) صحيح البخاري ٤/ ١١٠ ، صحيح مسلم ١/ ١٥٠.

حكم من أنكر وجود الملائكة:

ومن أنكر وجود الملائكة فقد كفر بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء].

ثمرات الإيمان بالملائكة:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

الأسئلة

س١: كيف تحقق الإيمان بالملائكة الكرام؟ دلل لما تقول.

س٢: اكتب باختصار عما يلي:

أ) وصف الملائكة. ب) علاقة الملائكة بالله عَزَّوَجَلَّ.

ج) علاقة الملائكة بالكون. د) علاقة الملائكة بالإنسان.

س٣: كيف ترد على الآتي:

أ) الذين قالوا الملائكة بنات الله.

ب) الذين أنكروا أنَّ الملائكةَ أجسامٌ.

س٤: اذكر وظائف الملائكة الذين درستهم.

س٥: ما ثمرات الإيمان بالملائكة؟

الركن الثالث (الإيمان بالكتب)

الإيمان بالكتب الإلهية هو أحد أصول الإيمان وأركانه، والإيمان بها هو التصديق الجازم بأنها حق وصدق، وأنها كلام الله عَزَّوَجَلَّ فيها الهدى والنور والكفاية لمن أنزلت عليهم.

وإنزال الكتب من رحمة الله بعباده لحاجة البشرية إليها؛ لأن عقل الإنسان محدود، لا يدرك تفاصيل النفع والضرر، وإن كان يدرك الفرق بين الضار والنافع إجمالاً، والعقل الإنساني أيضا تغلب عليه الشهوات، وتلعب به الأغراض والأهواء، فلو وكلت البشرية إلى عقولها القاصرة؛ لضلت وتاهت.

فاقتضت حكمة الله ورحمته أن ينزل هذه الكتب على المصطفين من رسله؛ ليبينوا للناس ما تدل عليه هذه الكتب، وما تتضمنه من أحكامه العادلة ووصاياه النافعة وأوامره ونواهيه الكفيلة بإصلاح البشرية.

دليل الإيمان بالكتب:

أدلته كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦] وقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٣٦]

تسمية الكتب في القرآن:

١- **التوراة**: التي أنزلها الله تعالى على موسى، صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ الله وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾.

٢- **الإنجيل**: الذي أنزله الله تعالى على عيسى، صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو مصدق للتوراة، ومتمم لها: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾. ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

٣- **الزبور**: الذي آتاه الله تعالى داود، صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

٤- **صحف إبراهيم وموسى،** عليهما الصلاة والسلام ووقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٦:٣٧].

٥- **القرآن العظيم**: الذي أنزله الله على نبيه، محمد خاتم النبيين فقال تعالى: ﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ﴾.

معنى الإيمان بكتب الله عَزَّوَجَلَّ:

معناه التصديق الجازم بأن جميعها منزل من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله تكلم بها حقيقة، فمنها المسموع منه تعالى من وراء حجاب بدون واسطة الرسول الملكي، ومنها ما بلغه الرسول الملكي إلى الرسول البشري، ومنها ما كتبه الله تعالى بيده كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ الله إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] وقال تعالى لموسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] ﴿وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى في شأن التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وقال في عيسى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣] وتقدم ذكرها بلفظ التنزيل، وقال تعالى في شأن القرآن: ﴿لَكِنِ الله يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِالله شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] وقال تعالى فيه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

أقسام الناس حيال الكتب السماوية:

١- قسم كذب بها كلها، وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين والفلاسفة.

٢- وقسم آمن بها كلها، وهم المؤمنون الذين آمنوا بجميع الرسل وما أنزل إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾.

٣- وقسم آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها، وهم اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم، الذين يقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾.

بل هؤلاء يؤمنون ببعض كتابهم ويكفرون ببعضه؛ كما قال تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ولا شك أن الإيمان ببعض الكتاب أو ببعض الكتب والكفر بالبعض الآخر كفر بالجميع؛ لأنه لا بد من الإيمان بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل؛ لأن الإيمان لا بد أن يكون مؤتلفا جامعا، لا تفريق فيه ولا تبعيض ولا اختلاف، والله تعالى ذم الذين تفرقوا واختلفوا في الكتاب؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

منزلة القرآن من الكتب المتقدمة:

قال الله تعالى فيه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ الله وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:٣٧] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

قال أهل التفسير: مهيمنا مؤتمنا وشاهدا على ما قبله من الكتب ومصدقا لها، يعني يصدق: ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢ ٥٣] وغير ذلك.

ما يجب التزامه في حق القرآن على جميع الأمة:

هو اتباعه ظاهرا وباطنا والتمسك به والقيام بحقه، قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] وهي عامة في كل كتاب.

والآيات في ذلك كثيرة، وأوصى النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتاب الله فقال: «فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به» وفي حديث علي مرفوعا: «إنها ستكون فتن». «قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله». وذكر الحديث.

حكم من قال بخلق القرآن:

القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، تكلم الله به قولا وأنزله على نبيه وحيا، وآمن به المؤمنون حقا، فهو وإن خط بالبنان وتلي باللسان وحفظ بالجنان وسمع بالآذان وأبصرته العينان لا يخرجه ذلك عن كونه كلام الرحمن.

فالأنامل والمداد والأقلام والأوراق مخلوقة، والمكتوب بها غير مخلوق.

والألسن والأصوات مخلوقة، والمتلو بها على اختلافها غير مخلوق، والصدور مخلوقة والمحفوظ فيها غير مخلوق، والأسماع مخلوقة والمسموع غير مخلوق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧ ٧٨] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْـمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة:٦] وقال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: " أديموا النظر في المصحف ".

والنصوص في ذلك لا تحصى، ومن قال القرآن أو شيء من القرآن مخلوق فهو كافر كفرا أكبر يخرجه من الإسلام بالكلية؛ لأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وكلامه صفته، ومن قال شيء من صفات الله مخلوق فهو كافر مرتد يعرض عليه الرجوع إلى الإسلام فإن رجع وإلا قتل كفرا ليس له شيء من أحكام المسلمين.

الأسئلة

س١: ما عقيدتك في كتب الله عَزَّوَجَلَّ ؟ وضح بالأدلة.

س٢: ما الكتب التي جاء في القرآن أنها أنزلت على الأنبياء؟

س٣: كُتبُ الله عَزَّوَجَلَّ تَكَلَّم بها حقيقة لكن تختلف طريقة نزولها. وضح ذلك.

س٤: انقسم الناس في نظرتهم للكتب السماوية، اذكرهم باختصار.

س٥: ما منزلة القرآن من سائر الكتب؟ وهل هو مخلوق؟ دلل عما تقول.

الركن الرابع
(الإيمان بالرسل)

الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان؛ لأنهم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ رسالته وإقامة حجته على خلقه، والإيمان بهم يعني التصديق برسالتهم والإقرار بنبوتهم، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، وقد بلغوا الرسالات، وبينوا للناس ما لا يسع أحدًا جهله.

دليل الإيمان بالرسل:

أدلته كثيرة من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْـمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ وقوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْـمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آمنت بالله ورسله».

معنى الإيمان بالرسل:

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا، ولم يغيروا، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه، ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْـمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

وأنهم كلهم على الحق المبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا، واتخذ محمدا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خليلا وكلم موسى تكليما، ورفع إدريس مكانا عليا، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله فَضَّل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات.

اتفاق دعوة الرسل على أصل العبادة وأساسها:

اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم على أصل العبادة وأساسها، وهو التوحيد بأن يفرد الله تعالى بجميع أنواع العبادة اعتقادا وقولا وعملا، ويكفر بكل ما يعبد من دونه، وأما الفروض المتعبد بها فقد يفرض على هؤلاء من الصلاة والصوم ونحوها مالا يفرض على الآخرين، ويحرم على هؤلاء ما يحل للآخرين، امتحانا من الله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]

والدليل على ذلك من الكتاب على نوعين مجمل ومفصل.

أما المجمل: فمثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] الآيات.

وأما المفصل: فمثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣] ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] وغيرها من الآيات.

الدليل على اختلاف شرائع الرسل في الفروع:

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (شرعة ومنهاجا): سبيلا وسنة، وفي صحيح البخاري: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد».

يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي والحلال والحرام ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

هل قص الله جميع الرسل في القرآن

قد قص الله علينا من أنبائهم ما فيه كفاية وموعظة وعبرة، ثم قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤] فنؤمن بجميعهم تفصيلا فيما فصل، وإجمالا فيما أجمل.

وقد سئل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن عدد الأنبياء؟ فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر، جما غفيرا.

جملة الرسل الذين سماهم الله في القرآن

سُمِّي منهم فيه آدم ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وشعيب ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذو الكفل وداود وسليمان وأيوب، وذكر الأسباط جملة، وعيسى ومحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعليهم أجمعين.

أولو العزم من الرسل

هم خمسة ذكرهم الله عَزَّوَجَلَّ على انفرادهم في موضعين من كتابه:

الموضع الأول: في سورة الأحزاب وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية.

الموضع الثاني: في سورة الشورى وهو قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] الآية.

أول الرسل

أولهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥]

خاتم النبيين والدليل على ذلك

خاتم النبيين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه سيكون بعدي كذابون ثلاثون كلهم يدعي أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي» وفي الصحيح قوله لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

خصائص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصائص كثيرة قد أفردت بالتصنيف منها: كونه خاتم النبيين كما ذكرنا، ومنها: كونه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد ولد آدم كما فسر به قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ومنها: بعثته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس عامة جنهم وإنسهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل،

وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

وله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخصائص غير ما ذكرنا فتتبعها من النصوص.

معجزات الأنبياء

المعجزات هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إما حسية تشاهد بالبصر أو تسمع كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية، وكلام الجمادات، ونحو ذلك، وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن، وقد أوتي نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من (كل ذلك)، فما من معجزة كانت لنبي إلا وله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم منها في بابها.

فمن المحسوسات: انشقاق القمر، وحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وكلام الذراع، وتسبيح الطعام، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار الصحيحة ولكنها كغيرها من معجزات الأنبياء التي انقرضت بانقراض أعصارهم ولم يبق إلا ذكرها، وإنما المعجزة الباقية الخالدة هي هذا القرآن الذي لا تنقضي عجائبه و ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]

الأسئلة

س١: ما معنى الإيمان بالرسل الكرام؟ وما دليلك؟

س٢: الأنبياء عليهم السلام اتفقوا في أشياء واختلفوا في أشياء، بين ذلك بالأدلة.

س٣: من أول الرسل؟ وكم عددهم؟ ومن آخرهم؟ ومن أولو العزم منهم؟

س٤: اذكر ما اختص به نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال ما درست؟ وعدد خمسة من معجزاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الركن الخامس
(الإيمان باليوم الآخر)

أشراط الساعة

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان باليوم الآخر وهو ركن من أركان الإيمان، ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالأشراط التي تظهر بين يديه كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد].

قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: ﴿جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي أمارات اقترابها كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ [النجم]. وكقوله جَلّت عظمته: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر]، وكقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]. وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء].

فبعثة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشراط الساعة؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين، وقد أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله.

تعريف الاشراط لغة واصطلاحا:

الأشراط في **اللغة:** العلامات، واحدها شرط بالتحريك، وبه سميت شرط السلطان؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها[١].

وفي الاصطلاح: العلامات التي يعقبها قيام الساعة[٢].

وأما الساعة: فهي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وقد سميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[٣].

وتنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

١- **أشراط صغرى:** وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة كقبض العلم وظهور الجهل والتطاول في البنيان وغيرها من الأشراط الصغرى.

٢- أشراط كبرى: وهي العلامات الكبيرة التي تظهر قرب قيام الساعة وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)[٤].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٦٤) ، الصحاح للجوهري (٣/ ١١٣٦)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٧٩)

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٢٢)

(٤) رواه مسلم(٢٩٠١)

الأسئلة

س١: الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان باليوم الآخر، اذكر دليلا على ذلك.

س٢: عرف الأشراط لغة واصطلاحا.

س٣: تكلم باختصار عن أقسام أشراط الساعة، مع ذكر أمثلة عليها.

المسيح الدجال

من أشراط الساعة ظهور فتنة المسيح الدجال، وفتنته عظيمة جدا لدرجة أنه ليس بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أكبر من فتنة المسيح الدجال، والله سبحانه لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته مسيح الضلالة.

وقد حذرنا منه رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر الأنبياء، ونحن آخر الأمم، فهو خارجٌ فينا لا محالة وإنه لحق، عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ".(١)

سبب تسمية المسيح الدجال:

قيل لأن عينه ممسوحة، وقيل: لأنه يمسح الأرض؛ أي: يقطعها، والأقرب الأول، لما جاء عن أنسٍ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ" (٢).

وسمي الدجال: من الدجل، وهو الخلط، يقال: دجل؛ إذا خلط وموّه، ودجّال على وزن فعّال من أبنية المبالغة؛ أي: يكثر منه الكذب والتلبيس.

صفات الدّجال:

١- عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا ابْنُ مَرْيَمَ. فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ

(١) مسند أحمد ١٥٨٣١

(٢)مسلم ٥٢٢١

الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ"(١) وَابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي المصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ.

٢- وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنْ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلا حَجْرَاءَ فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ" (٢).

٣- عن أنس: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ " (٣)، وفي رواية "وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر" (٤)، وفي رواية عن حذيفة: "يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ"(٥).

٤- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال له ابن صياد: "أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّهُ لا يُولَدُ لَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ: بَلَى.. "(٦).

وملخص أوصافه أنه شاب أحمر قصير، أفحج الرجلين، أجلى الجبهة، عريض النحر ممسوح العين اليمنى (ليست بناتئة – منتفخة وبارزة – ولا جحراء – غائرة – كأنها عنبة طافئة) وعينه اليسرى عليها ظفرة (لحمة غليظة تنبت عند المآقي) جعد الرأس، ومكتوب بين عينيه "ك ف ر" بالحروف المقطعة أو "كافر" موصولة، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، وأنه عقيم لا يولد له.

(١)البخاري ٦٥٠٨
(٢) أبو داود ٣٧٦٣ (صحيح الجامع الصغير ٢٤٥٥)
(٣) رواه البخاري٦٥٩٨
(٤) رواه مسلم ٥٢١٩
(٥) مسلم ٥٢٢٣
(٦) مسلم ٥٢٠٩

زمن خروجه:

يخرج في زمان اختلافٍ من الناس، وفُرقة، وبُغضٍ من الناس، وخِفةٍ من الدين، وسوء ذات بيْنٍ.

فَيَرِدُ كلَّ منهلٍ فتطوى له الأرض طي فروة الكبش، ولا يخرج حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق وهي منطقةٌ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام.

عن أبي هريرة أن رسول الله قال "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأعْماقِ، أوْ بدابِقٍ، فَيَخْرُجُ إليهِم جَيْشٌ مِنَ المَدِينَةِ، مِن خِيارِ أهْلِ الأرْضِ يَومَئذٍ، فإذا تَصافُّوا، قالتِ الرُّومُ: خَلُّوا بيْنَنا وبيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقاتِلْهُمْ، فيَقولُ المُسْلِمُونَ: لا، واللهِ لا نُخَلِّي بيْنَكُمْ وبيْنَ إخْوانِنا، فيُقاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ الله عليهم أبَدًا، ويُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أفْضَلُ الشُّهَداءِ عِنْدَ الله، ويَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبيْنَما هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنائِمَ، قدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بالزَّيْتُونِ، إذْ صاحَ فِيهِم الشَّيْطانُ: إنَّ المَسِيحَ قدْ خَلَفَكُمْ في أهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وذلكَ باطِلٌ، فإذا جاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ..." (١).

الأعماقُ ودَابقٌ مَوضعانِ بِالشَّامِ بِالقُربِ مِن حَلَبٍ، وقُسطَنطِينيَّةُ مَدينةٌ عَظيمةٌ مِن أعظَمِ بِلادِ الرُّومِ، وهي اليومَ إسطنبولَ.

مكان خروجه:

يخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان، من يهودية أصبهان.

وعن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: حدّثنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: " الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْـمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ " (٢)

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الترمذي برقم ٢١٦٣. صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير / حديث رقم ٣٣٩٨).

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: " يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ التِّيجَانُ " رواه أحمد ١٢٨٦٥.

الأماكن التي لا يدخلها:

يدخل المسيح الدجال البلدان واحداً بعد الآخر، إلا مكة والمدينة، فإنهما محرمتان عليه: ففي حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن الدجّال قال: " وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الخرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلا أَدَعَ قَرْيَةً إِلا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلائِكَةً يَحْرُسُونَهَا" [١].

وجاء أيضا أنه لا يدخل المسجد الأقصى ومسجد الطور، ففي حديث جنادة بن أبي أمية الأزدي أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: "وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ مَسْجِدَ الحرَامِ وَمَسْجِدَ المدِينَةِ وَالطُّورِ وَمَسْجِدَ الأَقْصَى". [٢]

أتباع الدجال:

أكثر أتباع مسيح الضلالة من اليهود والعجم والترك، وأخلاط من الناس غالبهم الأعراب والنساء.

وسبب اتّباع الأعراب له لأن الجهل غالب عليهم، وأما النساء لعاطفتهن وسرعة تأثرهن وجهلهن.

---

(١) مسلم ٥٢٢٨

(٢) رواه أحمد ٢٢٥٧٢.

عن أنس: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: "يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ الطَّيَالِسَةُ" (١)

الطيالسة: كساء غليظ مخطط. وفي رواية لأحمد: "عَلَيْهِمْ التِّيجَانُ".

وعن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ "(٢).

فِتنَته والخوارق التي على يديه-ثبّتنا الله وإياكم-

وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك، فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني، اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يُسلط على نفسٍ واحدة فيقتلها، وينشرها بالمنشار حتى تُلقى شقين ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعم أنه أن له ربًا غيري فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله أنت الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرةً بك مني اليوم.

وإن من فتنته أن يمر بالحي والبلد فيدعوهم فيكذبونه فينصرف عنهم فلا تبقى لهم سائمةٌ، أي من الأنعام إلا هلكت، ويمر بالحي فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تُنبت فتنبت بإذن الله ابتلاءً، وفتنةً، واختبارا حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمها، ويمر بالخَرِبة -الأرض الخالية- فيقول لها: أخرجي كنوزكِ فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ومعه جنة ونار فجنته ناره وناره جنة، وأن معه أنهار الماء وجبال الخبز، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث استدبرته الريح، إلى غير ذلك من الخوارق وكل ذلك جاءت به الأحاديث الصحيحة.

---

(١) رواه مسلم.٥٢٣٧

(٢) رواه الترمذي ٢١٣٦.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ: مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ" (١).

وعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لأَعْرَابِيٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَقُولانِ يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ" (٢)

عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الصحابة قالوا: "يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ" "قالوا: وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ" (٣)

سَارِحَتُهُمْ أي ماشيتهم، ذُرًا أي الأعالي والأسنمة، أَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ: كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل.

---

(١) رواه مسلم ٥٢٢٣

(٢) رواه ابن ماجه ٤٠٦٧ وصححه الألباني (الجامع الصغير / ٧٧٥٢).

(٣) رواه مسلم ٥٢٢٨.

سأل الصحابة رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يومٍ قال: «لا، اقدروا له قدره».

ولا يأتي مكة والمدينة من نقبٍ من نِقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، وإنه ليس من بلدةٍ إلا يبلغها رعب المسيح الدجال إلا المدينة لها يومئذٍ سبعة أبواب على كل نقبٍ من نقابها بها ملكان يذبان عنها رعب المسيح حتى ينزل عند السَبِخة، سبخة الجُرف خلف أُحدٍ يضرب رِواقه، فترجف المدينة بأهلها ثلاث مرات، فلا يبقى منافقٌ ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي المدينة الخبث منها، كما ينفي الكِير خَبث الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، وأكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل ليربط أمه وزوجته خشية أن يلحقا بالدجال.

فيتوجه قِبَلَه رجلٌ من المؤمنين ممتلأً شبابًا وهو يومئذٍ خير الناس أو من خيرهم فتلقاه مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ وأين تذهب؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج فيقولون: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما ربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول: بعضهم لبعضٍ أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس: أشهد أن هذا الدجال الذي حدثنا رسول الله حديثه، فيأمر الدجال به، فيُشَبَّح فَيُوسع ظهره وبطنه ضربًا فيقول: أو ما تؤمن بي، قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلتم هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون: لا.

قال: فيُأمر به فيُنشر بالمنشار من مفرقه حتى يُفرق بين رجليه، فيقتله ثم يمشي بين القطعتين، ثم يقول له: قُم فيستوي قائمًا ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: والله ما ازددت فيك إلا بصيرة.

ثم يقول الرجل: يا أيها الناس إنه لا يفعل بي بأحدٍ من الناس؛ أي لا يقتل أحدًا آخر غيري بعد ذلك قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل الله ما بين رقبته إلى ترقوته نُحَاسًا فلا يستطيع إليه سبيلا، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذفوا به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما أُلقي في الجنة.

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا أعظم الناس شهادةً عند رب للعالمين».

هــلاك الدّجال وأتباعه وانتهاء فتنته:

بعد أن يقتل الدجال ذلك الرجلَ المؤمنَ تصرف الملائكة وجهه قِبَل الشام، ثم يأتي جبل إيليا فيُحاصر عصابةً من المسلمين فيلقى المؤمنون شدةً عظيمة، ويفر الناس من الدجال في الجبال.

سأل الصحابة رسول الله: "أين العرب يا رسول الله؟ لعلمهم بشجاعة العرب، فقال: «العرب يومئذٍ قليل، وإمامهم رجلٌ صالح، وهو المهدي يصلحه الله في ليلة يملأ الأرض قسطًا وعدلا، يملك سبعة سنين، فيقول المسلمون المحاصرون ما تنتظرون بهذا الطاغية إلا أن تُقاتلوه؛ حتى تلحقوا بالله أو يفتح الله لكم، فيتفقون أن يُقاتلوه إذا أصبحوا، فبينما هم يعدون للقتال ويُسوون الصفوف إذا أُقيمت الصلاة صلاة الصبح، فبين إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم من السماء عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشقٍ، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قَطَر، وإذا رفعه تحدر منه جُمارٌ كاللؤلؤ، فلا يَحِلُّ لكافرٍ يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي بصره، فيرجع الإمام فيأمره عيسى بالصلاة، فيُصلي بهم إمامهم فإذا انصرف من الصلاة قال لهم عيسى: افتحوا الباب، فيُفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيفٍ فيطلبه عيسى، ويذهب بحربته نحو الدجال، فإذا نظر إليه الدجال ذاب

كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكنه يقتله بيده فيُوريه دمه أو يريهم دمه في خربته.

فيهزم الله اليهود، ويُسلط عليهم المسلمون، ويقتلونهم فلا يبقى شيءٌ مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطقه الله ذلك الشيء لا حجرٌ، ولا حائطٌ، ولا دابة إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهوديٌ ورائي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود، وإليك بعض الأحاديث في هلاك الدجال وأتباعه:

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله: "فَيَبْعَثُ الله عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ". (١)

وعن مجمع بن جارية الأنصاري يقول: سمعت رسول الله يقول: "يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ". (٢)

وفي حديث جابر قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ... قال: فَحِينَ يَرَى الْكَذَّاب يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الماءِ فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالحجَرَ يُنَادِي يَا رُوحَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ فَلا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلا قَتَلَهُ"(٣)

وبقتله تنتهي فتنته العظيمة، وينجي الله الذين آمنوا من شره وشر أتباعه على يدي روح الله وكلمته عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعه المؤمنين ولله الحمد والمنة.

---

(١) مسلم ٥٢٣٣

(٢) أحمد ١٤٩٢٠ – الترمذي برقم ٢١٧٠.

(٣) أحمد ١٤٤٢٦.

الوقاية من فتنة الدجال:

أرشد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال:

١-الثبات أمامه وأمام ما يظهر من خوارقه والتمسك بالإسلام، والتسلح بالإيمان؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا عباد الله فاثبتوا) أي اثبتوا على إيمانكم وعقيدتكم فيه، واثبتوا فيما تعتقدونه من معرفتكم بأسماء الله وصفاته الحسنى.

٢- التعوذ من فتنة الدجال، ويتأكد ذلك في الصلاة: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ المحيا وَالمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ"(١).

٣- قراءة وحفظ آيات من سورة الكهف: وجاءت بذلك أحاديث منها:

عن النواس قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ" (٢).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ" قال شعبة: مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ، و قَالَ هَمَّامٌ: مِنْ أَوَّلِ الْكَهْف (٣).

قال النووي: "سَبَب ذَلِكَ مَا فِي أَوَّلهَا مِنْ الْعَجَائِب وَالآيات, فَمَنْ تَدَبَّرَهَا لَمْ يُفْتَتَن بِالدَّجَّالِ, وَكَذَا فِي آخِرهَا قَوْله تَعَالَى: (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا..)(٤)

---

(١) مسلم ٩٢٤

(٢) مسلم ٥٢٢٨

(٣) مسلم ١٣٤٢

(٤) شرح النووي لمسلم ٦/ ٩٣.

٤- النأي عن الدجال والفرار منه: وعدم إتيان الأماكن التي يعلم أنه ظهر فيها؛ وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي تجري على يديه، حتّى إن الرجل ليأتيه يظن في نفسه الإيمان فيتبعه:

عن عمران بن حصين عن النبي قال: "مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ مِنْهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ يَتَّبِعُهُ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ بِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ"[1]. فَلْيَنْأَ: يبتعد.

٤- سكنى مكة والمدينة: لأنها أماكن لا يدخلها الدجال.

وقد تواترت الأحاديث من وجوه متعددة في إثبات خروج الدجال وبيان فتنته والاستعاذة منه، وأجمع أهل السنة والجماعة على خروج الدجال في آخر الزمان، وذكروا ذلك ضمن مباحث العقيدة؛ فمن أنكر خروجه؛ فقد خالف ما دلت عليه الأحاديث المتواترة، وخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، ولم ينكر خروجه إلا بعض المبتدعة كالخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وبعض الكتاب العصريين، ولم يعتمدوا على حجة يدفعون بها النصوص المتواترة سوى عقولهم وأهوائهم، فلا عبرة بهم ولا بقولهم.

والواجب على المؤمن الإيمان بما صح عن الله ورسوله، واعتقاد ما يدل عليه، ولا يكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾؛ لأن مقتضى الإيمان بالله ورسوله هو التسليم لما جاء عنهما والإيمان به، ومن لم يفعل؛ فإنه متبع لهواه بغير هدى من الله.

---

(١) أحمد (١٩١١٨) أبو داود (٣٧٦٢) والحاكم (٤/ ٥٣١)

الأسئلة

س١ : أَعظم فتنة منذ خلق الله آدم إلى قيام الســاعة فتنة الدّجال، اذكر الأدلة على ذلك، ولماذا سمُي بالمسيح الدّجال؟

س٢ : اذكر باختصار صفات الدجال على ضوء ما درست.

س٣: تحدث عن زمان خروج الدجال ومكانه باختصار.

س٤ : ما الأماكن التي لا يدخلها الدجال؟ ولماذا؟ دلّل لما تقول.

س٥ : اذكر بعض الخوارق التي تحصل على يدي الدجال.

س٦ : كيف تكون نهاية الدجال؟

س٧: ما الأسباب التي أرشد إليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للوقاية من فتنة الدجال؟

نزول عيسى عليه الصلاة السلام

من علامات الساعة الكبرى التي يؤمن بها أهل السنة: نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقتله المسيح الدجال.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَآنِي أَبْكِي فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ذَكَرْتُ الدَّجَّالَ، قَالَ: (لَا تَبْكِي فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ أَكْفِيكُمُوهُ، وَإِنْ أَمُتْ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مَعَهُ يَهُودُ أَصْبَهَانَ، فَيَسِيرُ حَتَّى يَنْزِلَ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ باب مَلَكَانِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا فَيَنْطَلِقَ حَتَّى يَأْتِي باب لُدٍّ فَيَنْزِلَ عِيسَى فَيَقْتُلَهُ ثُمَّ يَمْكُثَ عِيسَى فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا)[حديث حسن]

سبب تسمية عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالمسيح:

سمي عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالمسيح؛ لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ، وقيل: لأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر، وقيل: المسيح الصديق وسمي بذلك لصدقه، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن، وقيل: لأنه كان أمسح الرجل لا أخمص له(١).

عيسى رفعه الله وهو حي ولم يقتل ولم يصلب:

كَانَ مِنْ خَبَرِ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ الله وَسُخْطهُ وَغَضَبُهُ وَعِقَابُه أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ الله عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، حَسَدُوهُ عَلَى مَا آتَاهُ الله مِنَ النُّبُوَّةِ

(١) النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٢٦)

وَالْـمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، الَّتِي كَانَ يُبَرِّئُ بِهَا الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْـمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، وَيُصَوِّرُ مِنَ الطِّينِ طَائِرًا ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا يشاهَدُ طَيَرَانُهُ بِإِذْنِ الله عَزَّوَجَلَّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْـمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَكْرَمَهُ الله بِهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى يَدَيْهِ، وَمَعَ هَذَا كَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، وسَعَوْا فِي أَذَاهُ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَهُمْ، حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ الله عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَا يُسَاكِنُهُمْ فِي بَلْدَةٍ، بَلْ يُكْثِرُ السِّيَاحَةَ هُوَ وَأُمُّهُ[1].

وقد ذكر الله في كتابه زعمهم أنهم قتلوا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

المعنى الإجمالي للآية: أَيْ: رَأَوْا شَبَهَهُ فَظَنُّوهُ إِيَّاهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ الله إِلَيْهِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: مَنِ ادَّعَى قَتْلَهُ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ سَلَّمه مِنْ جُهَّالِ النَّصَارَى، كُلُّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ وَحَيْرَةٍ وَضَلَالٍ وسُعُر. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أَيْ: وَمَا قَتَلُوهُ مُتَيَقِّنِينَ أَنَّهُ هُوَ، بَلْ شَاكِّينَ مُتَوَهِّمِينَ. ﴿بَلْ رَفَعَهُ الله إِلَيْهِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

ذكر الله سبحانه في مواضع من القرآن أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه منها قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران].

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٤٨)

وقد اختلف المفســـــرون في معنى الوفاة فقال بعضـهم: الوفاة بمعنى النوم وَمِثْلُهُ قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[الأنعام: ٦٠].

نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل الساعة:

أخبر الله تعالى في آيتين من كتابه وأشار في ثالثة إلى أن عيسى سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله سيكون علامة دالة على قرب وقوع الساعة:

وأول هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾[الزخرف: ٦١] جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في هذه الآية: (نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(١).

وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[النساء].

قال ابن عباس: (خروج عيسى ابن مريم صلوات الله عليه)(٢)، وقال أيضاً: (أَنَّهُ سَيُدْرِكُ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حِينَ يُبْعَثُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)(٣)، وكذلك فسرها أبو هريرة بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ(٤)، وقال الحسن البصري في هذه الآية: (قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، وَالله إِنَّهُ الْآنَ حَيٌّ عِنْدَ الله، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ آمَنُوا بِهِ أَجْمَعُونَ)(٥).

---

(١) أخرجه ابن حبان برقم (٦٨١٧) والحاكم (٢ / ٢٧٨) وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٩ / ٤٥١) وانظر الصحيحة (٦ / ٦٣٢)

(٢) أخرجه الحاكم (٢ / ٣٣٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ووافقه الذهبي

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (٣ / ١٣٢٥)

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٨) ومسلم برقم (١٥٥)

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٩ / ٣٨٠) ورجاله ثقات

المعنى الإجمالي للآية: يخبر سبحانه عن أَهْلِ الْكِتَابِ أنهم سيؤمنون بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ مَوْتِه، وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا آمَنَ بِهِ حَتَّى تَكُونَ الْمِلَّةُ وَاحِدَةً، مِلَّةُ الْإِسْلَامِ(١).

وهي صريحة الدلالة على أن عيسى لم يمت وأن الله طهره من أيدي اليهود الأثيمة ورفعه الله بروحه وجسده(٢).

قال الشوكاني: (وَالْـمُرَادُ: الْإِيمَانُ بِهِ عِنْدَ نُزُولِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْـمُتَوَاتِرَةُ)(٣).

وأما الآية التي أشـــارت إلى نزول عيســـى عَلَيْهِ السَّلَامُ فهي قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

قال مجاهد: (حتى ينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) قال ابن كثير معلقاً: وكأنه أخذه من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال)(٤).

ولعل معناها يبينه ما جاء عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال: (يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى ابن مريم إماما مهديا وحكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها)(٥).

---

(١) تفسير البغوي (٢ / ٣٠٨) تفسير الطبري (٢ / ٤٥٢)

(٢) الرد العلمي البليغ على من أنكر رفع المسيح (ص٥٦)

(٣) فتح القدير (١ / ٦١٦)

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٠٨)

(٥) رواه أحمد برقم (٢٢٦٨)

المعنى الإجمالي للآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر، حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام)(١).

وأما الأحاديث الدالة على نزول عيسى فهي متواترة كما قال الشوكاني وغيره وسيأتي ذكر بعضها.

مكان نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ووقته وصفته عند نزوله:

ينزل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فعن النواس بن سمعان، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق)(٢).

وقد وصفه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك الحالة فجاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل)(٣).

معنى غريب الحديث:

قوله (رجل مربوع): ليس بالطويل ولا بالقصير، وقوله: (إلى الحمرة والبياض) لونه بياض مشرب بحمرة، قوله: (بين ممصرتين) يعني: ثياباً صفراً ليست صفرتها شديدة، قوله: (كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل) يعني: يكاد يقطر بدون بلل؛ وذلك لنظافته ووضاءته.

---

(١)تفسير البغوي(٧/ ٢٧٩)

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٣٧)

(٣) رواه أبوداود(٤٣٢٣)

فبينما يتجهز المسلمون لقتال الدجال إذ حضر وقت صلاة الصبح، وتقدمهم رجل صالح وفي تلك اللحظة ينزل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبيان ذلك ما جاء عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: (إمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ، فإنها لك أقيمت، فيصل بهم إمامهم)[1].

مدة بقاء المسيح عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد نزوله:

بينت السنة الصحيحة أن عيسى يبقى بعد نزوله إلى الأرض أربعين عاماً، كما جاء في حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون[2].

يقوم بأعمال جليلة في تلك الفترة ويصلي إلى قبلة المسلمين، وقد مر معنا أمر صلاته وراء ذلك الرجل الصالح عند نزوله، وينشر الإسلام والتوحيد ويحارب الشرك ويحج البيت الحرام ملبياً ومهللاً، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (والذي نفسي بيده، ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء، حاجاً ومعتمراً، أو ليثنينهما)[3].والروحاء: مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة على نحو أربعين ميلاً من المدينة أو ستة وثلاثين أو ثلاثين[4].

ويبقى معه في هذه الفترة جماعة من المؤمنين يصحبونه وقد أشار النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى فضلهم كما جاء في حديث ثوبان، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ،

(١) رواه ابن ماجه (٤٤٧٧)

(٢) رواه أبوداود برقم (٤٢٨٦)

(٣) رواه مسلم برقم (١٢٥٢)

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١١٣)

قال: (عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم).[١]

الأحداث التي تحصل في مدة بقاء عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

١ – قتله للدجال وأتباعه

بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الدجال يفسد في الأرض إفساداً عظيماً وتعظم فتنته ويضيق الأمر بالمسلمين، حتى ينزل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقتل الدجال عند باب لد، وبيان ذلك ما جاء عن أبي أمامة أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: (فإذا انصرف، قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً...، فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود...)[٢].

وعن أبي هريرة أن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبر عن نزول عيسى وصلاته معهم ثم قال: (فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته)[٣].

وبعد أن يقتل الدجال يقتل أتباعه من اليهود وغيرهم حتى إن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله")[٤].

٢ – نشر الإسلام والعدل والقضاء على الأديان المحرفة

يَنْزِلُ عيسى حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا بِرِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَشَرِيعَةٍ نَاسِخَةٍ بَلْ هُوَ حَاكِمٌ مِنْ حُكَّامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ويكون عادلاً يَكْسَرَ الصليب حَقِيقَةً وَيُبْطِلَ

(١) رواه النسائي (٣١٧٥)

(٢) أخرجه الحاكم (٨٥٠٨)

(٣) رواه مسلم (٢٨٩٧)

(٤) رواه أحمد (١٤٩٥٣)

مَا يَزْعُمُهُ النَّصَارَى مِنْ تَعْظِيمِهِ، ولا يقبل الجزية بل يردها فإما الإسلام أو القتل، وتَكْثُرُ رَغْبَة الناس فِي الصَّلَاةِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ؛ لقصر آمالهم وعلمهم بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ وَقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)[1].

٣ – تكثر الخيرات وتنزل البركات

ومن الأمور التي تحصل في زمانه أن يكثر المال ويفيض بسبب العدل وَعَدَمِ التَّظَالُمِ وَتَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ وَتَقِلُّ أَيْضًا الرَّغَبَاتُ لِقِصَرِ الْآمَالِ وَعِلْمِهِمْ بِقُرْبِ السَّاعَةِ فَإِنَّ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ، وقد جاء في حديث أبي هريرة قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (.. ولتتركن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليُدْعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد)[2]

والقلاص: الْقِلَاصُ بِكَسْرِ الْقَافِ جَمْعُ قَلُوصٍ وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يُزْهَدَ فِيهَا وَلَا يُرْغَبُ فِي اقْتِنَائِهَا لِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْعِلْمِ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ الْقِلَاصُ لِكَوْنِهَا أَشْرَفَ الْإِبِلِ الَّتِي هِيَ أَنْفَسُ الْأَمْوَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٢٢٢) ومسلم برقم (١٥٥)

(٢) الحديث السابق

(٣) شرح مسلم للنووي (٢/ ١٩٢)

وعن أبي أمامة أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: (وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم..)[١].

٤- نشر الأمن والأمان والمحبة والوئام

وقد جاء في حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: (...ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمانة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه)

وفي رواية: (ويرجع السلم، وتتخذ السيوف مناجل، وتذهب حمة كل ذات حمة، وتنزل السماء رزقها، وتخرج الأرض بركتها، حتى يلعب الصبي بالثعبان فلا يضره، ويراعي الغنم الذئب فلا يضرها، ويراعي الأسد البقر فلا يضرها).

وعنه أيضاً أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض)[٢]

معاني غريب الحديث:

(المناجل): جمع منجل، وهو الآلة التي يقطع بها الحشيش ويحصد بها الزرع، أراد أن الناس يتركون الجهاد ويشتغلون بالحرث والزراعة.[٣] (وتذهب حمة كل ذات حمة): أي: ينزع سم كل دابة ذات سم.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧)

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٩١٨)

(٣) لسان العرب لابن منظور (١١/ ٦٤٧) النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٣)

٥ – الدعاء على يأجوج ومأجوج

ويخرج في زمانه يأجوج ومأجوج فيفسدون في الأرض إفساداً عظيماً، فيدعو عيسى ربه، فيستجيب له، ويصبحون موتى، لا يبقى منهم أحد، وفي حديث النواس بن سمعان الطويل الذي ذكر فيه الدجال ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وفي ختامه ذكر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاء عيسى ربه عندما يشتد عليهم الأمر، فيستجيب الله، ويهلك يأجوج ومأجوج، ثم يقول: " ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل مطراً، لا يُكَنُّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس).

معاني غريب الحديث:

(زهمهم): هُوَ بِفَتْحِ الْهَاءِ أَيْ دَسْمُهُمْ وَرَائِحَتُهُمُ الْكَرِيهَةُ. (كأعناق البخت): الجمال الطويلة.

(الْـمَدَرُ): وَهُوَ الطِّينُ الصُّلْبُ. (الزلقة): المرآة شبَّهَهَا بِالْمِرْآةِ فِي صَفَائِهَا وَنَظَافَتِهَا.

(العصابة):الجماعة.(قِحفها): هُوَ مُقَعَّرُ قِشْرِهَا شَبَّهَهَا بِقِحْفِ الرَّأْسِ وَهُوَ الَّذِي فَوْقَ الدِّمَاغِ.

الرِّسْلُ:بِكَسْرِ الرَّاءِ وَإِسْكَانِ السِّينِ هُوَ اللَّبَنُ. (اللقحة): وَهِيَ الْقَرِيبَةُ الْعَهْدِ بِالْوِلَادَةِ وَجَمْعُهَا لِقَحٌ

(الفئام): الجماعة الكثيرة. (الْفَخْذُ): الْجَمَاعَةُ مِنَ الْأَقَارِبِ وَهُمْ دُونَ الْبَطْنِ وَالْبَطْنُ دون القبيلة[1].

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٨/ ٧٠)

الأسئلة

س١: ما سبب تسمية عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالمسيح؟

س٢: أهل السنة يؤمنون بأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيٌّ رفعه الله ولم يقتل ولم يصلب، ناقش ذلك مع ذكر الأدلة.

س٣: اذكر الأدلة على نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل القيامة؟

س٤: اذكر باختصار ما يلي:

أ) مكان نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ب) وقت نزول عيسى ومدة بقائه.

ج) صفة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س٥: اذكر باختصار الأحداث التي تحصل بعد نزول عيسى مع ضرب الأمثلة.

ظهور المهدي المنتظر

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بظهور المهدي

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي" [قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح]

قال العلامة السفاريني: "وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدي".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: "الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، [رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم]" انتهى.

واسم المهدي: محمد بن عبد الله، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظلما، فيملؤها عدلاً وقسطا.

قال العلامة السفاريني: "قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم... " انتهى.

وقد انقسم الناس في أمر المهدي إلى طرفين ووسط:

فالطرف الأول: من ينكر خروج المهدي؛ مثل بعض الكتاب المعاصرين الذين ليس لهم خبرة بالنصوص وأقوال أهل العلم، وإنما يعتمدون على مجرد آرائهم وعقولهم.

والطرف الثاني: من يغالي في أمر المهدي من الطوائف الضالة، حتى ادعت كل طائفة لزعيمهم أنه المهدي المنتظر؛ فالرافضة تدعي أن المهدي هو إمامهم المنتظر الذي ينتظرون خروجه من السرداب، ويسمونه محمد بن الحسن العسكري، دخل سرداب

سامراء طفلاً صغيرًا منذ أكثر من ألف سنة، وهم ينتظرون خروجه، والفاطمية يزعمون أن زعيمهم هو المهدي...

وهكذا كل من أراد التسلط والتغلب على الناس وخداعهم؛ ادعى أنه المهدي المنتظر كما أن من أراد الدجل والاحتيال من الصوفية ادعى أنه من أهل البيت وأنه سيد.

وأما الوسط في أمر المهدي؛ فهم أهل السنة والجماعة، الذين يثبتون خروج المهدي على ما تقضي به النصوص الصحيحة في اسمه واسم أبيه ونسبه وصفاته ووقت خروجه، لا يتجاوزون ما جاء في الأحاديث في ذلك، ولخروجه أمارات وعلامات تسبقه ذكرها أهل العلم.

قال السفاريني في بيان سيرته: "قال أهل العلم: يعمل بسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يوقظ نائما، ويقاتل على السنة؛ لا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، ويقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرد إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورًا".

وقال في وصفه أيضا: "يخرج رجل من أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مهدي، حسن السيرة، يغزو مدينة قيصر، وهو آخر أمير من أمة محمد، يخرج في زمانه الدجال، وينزل عيسى ابن مريم".

ذلكم هو المهدي الذي أخبر عنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين صفاته الفارقة، ووقت خروجه وسيرته.

وقد ادعى المهدية جماعة من الضلال في وقت مبكر عن وقته، ولا تنطبق عليهم صفاته، وإنما أرادوا بذلك السذج، واستغلال ادعاء هذه الشخصية لمطامعهم الخاصة، فأظهر الله كذبهم، وفضح باطلهم، ولا تعجب؛ فقد ادعى قوم النبوة، وافتروا على الله الكذب، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾.

الأسئلة

س١: في ضوء ما درست عن المهدي تحدث عما يلي:

أ) اسمه.

ب) بعض أعماله.

ج) وقت خروجه.

س٢: انقسم الناس في شأن المهدي. اذكر أقوالهم ورجح الحقَّ الذي تراه.

س٣: علل لما يلي:

أ) إذا خرج شخص من قبيلة تميمَ يدَّعي أنه المهديُّ فإنه كذَّاب منتحل.

ب) لا عجب من ادّعاء بعض النّاس أنّه المهدي.

خروج يأجوج ومأجوج

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج

وخروج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ذكر السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما الكتاب؛ ففي قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

وقال تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً﴾.

وهذا سد من حديد بين جبلين، بناه ذو القرنين، فصار ردما واحداً يحجز هؤلاء المفسدين عن أذية الناس والإفساد في الأرض، فإذا جاء الوقت الذي قُدر انهدام السد فيه؛ جعله الله مساويا للأرض، وعدٌ لابد منه، لأنه إذا انهدم؛ يخرجون على الناس ويموجون وينسلون؛ أي: يسرعون المشي من كل حدب، ثم يكون النفخ في الصور قريبا من ذلك.

وأما الدليل من السنة؛ ففي "صحيح مسلم" من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال: "إن الله تعالى يوحي إلى عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد في قتالهم؛ فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذا ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مئة دينار...." الحديث.

وعن أبي هريرة مرفوعا: (إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدا، فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعو فسنحفره غدا إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس). [1]

وفي حديث حذيفة عند الطبراني: "ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس".

قال الإمام النووي: "هم من ولد آدم عند أكثر العلماء".

وقال ابن عبد البر: "الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ".

وذكر العلامة السفاريني: "قال ابن كثير: يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك، من ذرية آدم" ثم قال: "وهم من ذرية نوح، من سلالة يافث أبي الترك".

وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قرب خروجهم وحذَّر منهم.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٣١٣)

في "الصحيحين" من حديث زينب بنت جحش؛ "أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نام عندها ثم استيقظ محمرّاً وجهه وهو يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرب قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا" وحلّق بين أصبعيه.

وأما صفاتهم وأجسامهم:

فقد قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: "وهم يشبهون الناس، كأبناء جنسهم من الترك، الغتم، المغول، المجرزمة عيونهم، الدلف أنوفهم، الصهب شعورهم، على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطأ بالأخرى؛ فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه.

ما يحصل منهم من الأذى والفساد في الأرض ونهايتهم:

فقد دل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري؛ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: "يفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾؛ فيغشون الناس، وينحاز الناس عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، فيشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ها هنا ماء مرة! حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة؛ قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض، قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء".

قال: " ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مختضبة دما؛ للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك؛ بعث الله دودًا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقه، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال: فيتجرد رجل منهم محتسبا، قد وطنها على أنه مقتول، فينزل، فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين! ألا أبشروا، إن

الله تعالى قد كفاكم عدوكم. فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء أصابته من النبات قط" قال الإمام ابن كثير: "وهكذا أخرجه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به، وهو إسناد جيد".

الرد على من أنكر يأجوج ومأجوج أو تأوله بما لا يحتمله:

وقد أنكر بعض الكتاب العصريين وجود يأجوج ومأجوج ووجود السد، وبعضهم يقول: إن يأجوج ومأجوج هم جميع دول الكفر المتفوقة في الصناعة!

ولا شك أن هذا تكذيب لما جاء في القرآن، وتكذيب لما صح عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو تأويل له بما لا يحتمله، ولا شك أن من كذب بما جاء في القرآن أو صح عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو كافر، وكذلك مَنْ أَوَّله بما لا يحتمله؛ فإنه ضال ويُخشى عليه من الكفر.

وليس لهؤلاء شبهة يستندون إليها؛ إلا قولهم: إن الأرض قد اكتشفت كلها، فلم يوجد ليأجوج ومأجوج ولا للسد مكان فيها.

والجواب عن ذلك أن كون المكتشفين لم يعثروا على يأجوج ومأجوج وسدهم لا يدل ذلك على عدم وجودهم، بل يدل عن عجز البشر عن الإحاطة بملكوت الله عَزَّوَجَلَّ وقد يكون الله عَزَّوَجَلَّ صرف أبصارهم عن رؤيتهم، أو جعل أشياء تمنع من الوصول إليهم، والله قادر على كل شيء، وكل شيء له أجل: كما قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وما الذي أعمى أبصار الأوائل وأعجز قدراتهم عن كنوز الأرض التي اكتشفها المعاصرون كالبترول وغيره؛ إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل لذلك أجلاً ووقتا؟! فالله المستعان.

الأسئلة

س١: اذكر دليلين أحدهما من القرآن والآخر من السنة على خروج يأجوج ومأجوج.

س٢: ما الذي أَخَّر خروج يأجوج ومأجوج إلى الآن مع أنهم يحفرون كلَّ يوم؟

س٣: هل يأجوج ومأجوج من البشر؟ وما أوصافهم؟

س٤: تحدث عن إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض.

س٥: اذكر بعض شبه المنكرين ليأجوج ومأجوج والرد عليها مما درست.

طلوع الشمس من مغربها

وطلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى كما هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء.

أما الكتاب: فقد قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأنعام].

جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام:١٥٨].

قال ابن جرير الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في الآية: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (ذلك حين تطلع الشمس من مغربها)(١).

وأما السنة: فقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:

حديث صفوان بن عسال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إن الله فتح بابا قبل المغرب، عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه)(٢).

---

(١) تفسير الطبري (١٢/٢٦٦)

(٢) الطبراني في الأوسط (٣٤٤٦)

وحديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)(١).

وحديث عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل)(٢).

مسألة: علة عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها

إذا طلعت الشــمس من مغربها فإنه لا يقبل الإيمان ممن لم يكن قبل ذلك مؤمناً، كما لا تقبل توبة العاصي، وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة يراها كل من كان في ذلك الزمان، فتنكشــف لهم الحقائق، ويشــاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصــديق بالله وآياته، وحكمهم في ذلك حكم من عاين بأس الله تعالى كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر].

وقد ذكر القرطبي علَّة ذلك فقال: (قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحالة لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت)(٣).

(١) رواه مسلم (٢٧٥٩)

(٢) رواه أحمد في المسند (١٦٧١)

(٣) التذكرة (١٣٤٦)

الشمس طلوعها وغروبها وسجودها لله تعالى.

وعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوما: " أتدرون أين تذهب هذه الشمس"؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)[١].

وهذا السجود للشمس لا ندري كيفيته ولا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي يسجد له كل من في السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج].

قال الحافظ ابن حجر: (وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري، والله أعلم)[٢].

---

(١) رواه مسلم(١٥٩)

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٤٢)

الأسئلة

س١ : من علامات الســاعة الكبرى طلوع الشــمس من مغربها، اذكر على ذلك دليلين، أحدهما من القرآن والآخر من السنة.

س٢ : اذكر دليلين لعدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها.

س٣: من خلال ما درســت بين علة عدم قبول التوبة بعد طلوع الشــمس من مغربها.

الدخان وخروج الدابة والخسوفات والنار

الدُّخَانَ:

من علامات الســاعة الكبرى أن يرى الناس دخانا يوم القيامة قال الله تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]

وللعلماء في الدخان قولان:

القول الأول: إِنَّ الدُّخَانَ دُخَانٌ يَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَيَأْخُذُ الْـمُؤْمِنُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ وَإِنَّمَا يَكُونُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ.

القول الثاني: هُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا نَالَ قُرَيْشًا مِنَ الْقَحْطِ حَتَّى كَانُوا يَرَوْنَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمَا دُخَانَانِ لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْآثَارِ. [شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧)]

خروج الدابة:

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بخروج الدابة:

ذكر الله خروج الدابة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾.

وقال ابن كثير في "تفسيره": "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض؛ قيل: من مكة، وقيل: من غيرها، فتكلم الناس".

وعن عبد الله بن عمرو؛ قال: حفظت من رسول ﷺ حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول الآيات خروجا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على أثرها قريبا". [رواه مسلم]

قال ابن كثير: "أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج؛ فكل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر مشاهدتهم وأمثالهم مألوفة، فأما خروج الدابة على شكل غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر؛ فأمر خارج عن مجاري العادات.

عمل الدابة:

جاءت الأحاديث أنها تسم الناس المؤمن والكافر، فأما المؤمن؛ فيرى وجهه كأنه كوكب دري، ويكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر؛ فتنكت بين عينيه نكتة سوداء، ويكتب بين عينيه كافر، ويشترك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن الكافر وبالعكس، حتى إن المؤمن ليقول للكافر: يا كافر! اقضني حقي.

صفتها:

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي في "تفسيره": "وهذه الدابة المشهورة، التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يذكر الله ولا رسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها المقصود منها، وأنها من آيات الله، تكلم الناس كلاما خارقا للعادة، حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله؛ فتكون حجة وبرهانا للمؤمنين، وحجة على المعاندين... " انتهى.

وقد أنكر بعض المعاصرين خروج هذه الدابة، واستبعدوا ذلك، وبعضهم يؤولونها بتأويلات فارغة، وليس حجة في ذلك سوى أن عقولهم لا تتحمل ذلك.

والواجب على المسلم التصديق والتسلم لما جاء عن الله ورسوله؛ لأن هذا من الإيمان بالغيب، الذي مدح الله به المؤمنين.

ثلاثة خُسُوفٍ:

من علامات الساعة التي لا تقوم الساعة حتى تظهر ثلاثة خسوفات عظيمة.

خسوف: جمع خسف وخسف المكان ذهابه في الأرض وغيوبته فيها.

وَثَلَاثَة خُسُوف خسف بالمشرق وَخسف بالمغرب وَخسف بِجَزِيرَة الْعَرَب هِيَ مَكَّة وَالْـمَدينَة واليمامة واليمن.

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ "يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف..." الحديث

وَقَدْ وُجِدَ الْخَسْفُ فِي مَوَاضِعَ وَلَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْـمُرَادُ بِالْخُسُوفِ الثَّلَاثَةِ قَدْرًا زَائِدًا عَلَى مَا وُجِدَ كَأَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ مِنْهُ مَكَانا أَو قدرا.

نار تحشر الناس إلى محشرهم:

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالنار التي تحشر الناس:

قال الإمام ابن كثير في "النهاية": "ثبت في "الصحيحين" من حديث وهيب، عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "يحشر الناس على ثلاث طرائق؛ راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا".

ثم ساق الأحاديث في هذا المعنى، ثم قال: "فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة، وهي أرض الشام، وأنهم

يكونون على أصناف ثلاثة؛ فصنف طاعمين كاسين وراكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون تارة أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد كما تقدم في "الصحيحين"؛ "اثنان على بعير، وثلاثة على بعير... " إلى أن قال: "وعشرة على بعير يعتقبونه من قلة الظهر"؛ كما تقدم في الحديث، كما جاء مفسرًا في الآخر: "تحشر بقيتهم النار"، وهي تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم، تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم؛ أكلته النار، وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الزمان؛ حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المشترى وغيره، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث؛ لم يبق موت ولا ظهر يشترى ولا أكل ولا شرب" انتهى.

وقد جاءت أحاديث تدل على أنه في آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر:

منها الحديث الذي رواه أحمد ومسلم وأهل السنن: "تخرج نار من قعر عدن، تسوق (أو: تحشر) الناس؛ تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا".

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ستخرج نار من حضرموت "أو: من نحو بحر حضرموت" قبل يوم القيام تحشر الناس". قالوا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: "عليكم بالشام" [رواه أحمد والترمذي وابن حبان في "صحيحه"، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب"].

قال السفاريني: "اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ هل هو يوم القيامة أو قبله؛ فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض: أن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة.

إلى أن قال: "وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بأن حديث أبي هريرة: تقبل معهم وتبيت وتصبح وتمسى... يؤيد أن الحشر في الدنيا إلى الشام؛ لأن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا".

وقال أيضا: "ذكر القرطبي في "تذكرته" أن الحشر أربع: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة؛ فاللذان في الدنيا:

المذكور في سورة الحشر، وهو حشر اليهود إلى الشام؛ قال لهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اخرجوا". قالوا: إلى أين؟، قال: "إلى أرض المحشر". ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من جزيرة العرب.

والحشر الثاني: المذكور في أشراط الساعة، نار تحشر من المشرق إلى المغرب؛ كما في حديث أنس وعبد الله بن سلام، وفي حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَ مرفوعا: "تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم إلى المغرب؛ تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، ويكون لها ما سقط منهم وتخلف، وتسوقهم سوق الجمل".

قال الحافظ ابن حجر: "وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب؛ لأن ابتداء خروجها من عدن، فإذا خرجت؛ انتشرت في الأرض كلها.

المراد: تعميم الحشر، لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق".

قال القرطبي: "وأما اللذان في الآخرة؛ فحشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعا؛ قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾، وحشرهم إلى الجنة والنار.

وقال على قول الناظر:

وآخِرُ الآياتِ حَشْرُ النَّارِ... كَمَا أَتى فِي مُحْكَمِ الأخْبارِ

الأسئلة

س١: ما دليلك على مجيء الدخان قبل قيام الساعة؟ وما الأقوال فيه؟

س٢: تحدث باختصـــار عن خروج الدابة. وماذا تعمل بالناس؟ مدعما إجابتك بالأدلة.

س٣: ما المقصود بالخسف لغة؟ وما الخسف الذي يعقبه قيام الساعة؟

س٤: كيف يحشر الناس لأرض المحشر؟ اذكر دليلا على إجابتك.

س٥: ما عقيدة أهل السنة والجماعة في النار التي تحشـــر الناس؟ ومن أين تخرج؟ وإلى أين تحشرهم؟ اذكر دليلا على ما تقول.

س٦: عدّد باختصار حشر الناس الذي حصل والذي لم يحصل.

مفردات الوحدة الثانية

تابع الركن الخامس (الإيمان باليوم الآخر)

- الموت.
- عذاب القبر ونعيمه.
- قيام الساعة والبعث.
- النفخ في الصور.
- الحشر.
- الموقف.
- حساب العباد.
- تطاير الصحف.
- الميزان.
- الصراط.
- القصاص.
- الحوض.
- الجنة والنار مخلوقتان.
- الشفاعة.
- رؤية الله عَزَّوَجَلَّ.

الركن السادس (الإيمان بالقدر)

المــوت

من مقدمات اليوم الآخر الموت، وهو القيامة الصغرى.

والقيامة الصغرى هي وفاة كل شخص عند انتهاء أجله، وبها ينتقل من الدنيا إلى الآخرة.

وقد ذكَّر الله العباد بالموت؛ ليستعدوا له بالأعمال الصالحة والتوبة من الأعمال السيئة؛ لأنه إذا جاء ختم عمل الإنسان، وهو لا يقبل التأخير؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْـمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَالله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْـمَوْتِ﴾، والموت هو القيامة الصغرى، وقيام الساعة هو القيامة الكبرى.

وعلى المسلم أن يستعد للموت بالأعمال الصالحة، وأنْ يعلمَ أن هذه الدار ممر ومزرعة للآخرة وأنَّها دار عمل والآخرة دار الجزاء.

وما يقدمه في هذه الدنيا يجده أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما جاء في الحديث القدسي «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَه» خرجه مسلم.

عذاب القبر ونعيمه

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بفتنة القبر وبعذابه ونعيمه، وذلك أن بين الموت الذي تنتهي به الحياة الأولى وبين البعث الذي تبتدىء به الحياة الثانية حياة برزخية، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

و"البرزخ" **لغة**: الحاجز بين الشيئين.

وفي هذا البرزخ نموذج من الجزاء الأخروي؛ فهو أول منزل من منازل الآخرة ففيه سؤال الملكين، ثم العذاب أو النعيم.

وهي حياةٌ برزخيَّة حقيقيَّةٌ، لا يَعلم كيفيتَها إلاَّ الله عَزَّوَجَلَّ، وجاءت السُّنَّةُ مبيِّنة أنَّ أرواحَ الشهداء في أجواف طير خُضر، وأنَّ أرواح المؤمنين على صورة طير، وأنَّ المؤمنَ يُفرَش له من الجنَّة، ويُفتَحُ له باب إلى الجنَّة، ويأتيه من رَوْحها وطيبِها، ويُفسَحُ له في قبره مدَّ بصره.

وأنَّ الكافرَ يُفرَشُ له من النار، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النار، ويأتيه من حرِّها وسَمومها، ويضيقُ عليه قبْرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعُه.

والناسُ يُفتَنون في قبورهم ويُمتَحنون، فيُثبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

الأدلة من الكتاب والسنة على عذاب القبر ونعيمه:

قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ الله سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

فذكر عذاب الدارين ذكرًا صريحا لا يحتمل غيره؛ فدل على ثبوت عذاب القبر.

وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْـمَوْتِ وَالْـمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ وهذا خطاب لهم عند الموت.

عن ابن عباس "أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بقبرين، فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير: أما أحدهما؛ فكان لا يستبرىء من البول، وأما الآخر؛ فكان يمشي بالنميمة" ثم دعا بجريدة، فشقها نصفين، فقال: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"[١]

وعن زيد بن ثابت؛ قال: "بينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حائط لبني النجار على بغلته ونحن معه؛ إذ حادت به، فكادت تلقيه فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: من يعرف أصحاب هذه القبور؟ فقال رجل: أنا. قال فمتى مات هؤلاء؟ قال: في الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوتُ الله أَنْ يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه... " الحديث [٢].

---

(١) البخاري ٢١٦ ومسلم ٢٩٢

(٢) مسلم ٢٨٦٧

وعن أبي هريرة؛ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير؛ فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال" [١].

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْـمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْـمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾... إلى آخر السورة.

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: «ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره». [٢]

سؤال الملكين:

وعن البراء بن عازب أيضاً في الحديث الطويل، وفيه: "فيأتيه أي المؤمن مَلَكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربِّي الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرَّجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". وفيه: "ويأتيه أي الكافر مَلَكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: هاه هاه

---

(١) مسلم ٥٨٨

(٢) رواه أحمد وأبو داود

لا أدري! فيقولان له: ما هذا الرَّجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري!"(١).

وفي هذا الحديث سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويضل الله الظالمين فيقول الكافر: هاه هاه، لا أدري، ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

الرد على منكري عذاب القبر ونعيمه وتفنيد شبهتهم:

وقد أنكرت الملاحدة والزنادقة وقوم من أهل الزيغ عذاب القبر ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.

فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه، ولقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه الإمام أحمد في "المسند"بإسناد حسن(١٨٥٣٤)

يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلا فيكلمه والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسماوات السبع والأرض ومن فيهن وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحا حقيقيا يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحيانا، ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهابا وإيابا، وقد حضرت الجن إلى رسول الله (ﷺ) واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين ومع هذا فهم محجوبون عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

الأسئلة

س١: ماذا تعرف عن القيامة الصغرى والقيامة الكبرى؟ وما واجب المسلم تجاههما؟

س٢: بين الموت والبعث حياةٌ أخرى تحدث عنها باختصار مع ذكر أدلة لما تقول.

س٣: اذكر دليلين أحدهما على النعيم الذي يلقاه المسلم بعد موته وقبل الآخرة، وآخر عن العذاب الذي يلقاه الشقي.

س٤: كيف تَرُدُّ على من ينكر عذاب القبر ونعيمه؟

قيام الساعة والبعث

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأن السَّاعةَ آتيَةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن يَموتُ، كما بدأَهم يعودون.

علمُ قيام الساعة اختصَّ به الله عَزَّوَجَلَّ، ففي صحيح البخاري أنَّ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا الله» وآخرها: « ولا يعلمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ».

وكان صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا سُئل عنها أجاب بذكر بعض أماراتها، فلا يَعلمُ أحدٌ غير الله في أيِّ سنة وفي أيِّ شهر وفي أيِّ يوم من الشهر يكون قيامها، وقد جاء في السُّنَّة عن الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّها تقوم يوم الجمعة، قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

والساعةُ تُطلقُ ويُراد بها الموت عند النفخ في الصور، كما قال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ» رواه مسلم وكلُّ مَن مات قبل ذلك فقد جاءت ساعتُه وقامت قيامتُه، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء.

وتُطلقُ ويُرادُ بها البعث، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في آل فرعون﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة غافر:٤٦]، وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سورة سبأ: ٣].

وهم إنَّما أنكروا البعثَ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [سورة التغابن: ٧].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ وقال﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ وقد نصَّ في هذه الآية على بعث مَن في القبور؛ إذ الغالب على الناس أنَّهم يُدفنون في القبور، والبعثُ يكون لكلِّ مَن مات قُبِرَ أو لم يُقبَر، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨﴾.

كثيراً ما يأتي في القرآن تقريرُ أمر البعث ببيان ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التنبيهُ بخلق الإنسان أوَّل مرَّة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ [سورة الحج: ٥].

الأمر الثاني: التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [سورة الحج: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ

قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة فصلت: ٣٨]،وقال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الروم: ١٨].

الأمر الثالث: التنبيهُ بخلق السموات والأرض وهو أعظم من خلق الناس، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة غافر: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة يس: ٨٠].

البعثُ يوم القيامة يكون بإعادة الأجساد التي كانت في الدنيا لتلقى مع الأرواح الثواب والعقاب، وليس لأجساد جديدة لم تكن موجودةً في الدنيا، وهذا هو الذي استبعده الكفَّارُ وأنكروه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾.

فبيَّن سبحانه أنَّه عالِمٌ بكلِّ ذرَّة من ذرَّات أجسادهم التي تنقصها الأرض منهم، فيُعيدُها كما كانت فيبعث ذلك الميت بجسده الذي كان عليه في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة

والمعنى كما ذكر ابن كثير عن جماعة من السلف أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قطع الطيورَ الأربعة وخلط لحومَها، وجعل على كلِّ رأس جبل منها قطعة، ثم دعاهنَّ فتجمَّعت أجزاءُ كلِّ طائر، حتى عادت الطيورُ على ما كانت عليه، وأتت إليه سعياً.

ويدلُّ على ذلك من السُّنَّة حديث قصَّة الرَّجل الذي أوصى بَنِيه إذا مات أن يحرقوا جسدَه ويَرموا جزءاً من رماده في البَرِّ وجزءاً منه في البحر، فأمر الله عَزَّوَجَلَّ البحرَ بأن يُخرج ما فيه، والبَرَّ بأن يُخرج ما فيه، حتى عاد الجسدُ كما كان، والحديث رواه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الأسئلة

س١: متى تقوم الســاعة؟ وكيف كان رســول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيب عن هذا السؤال؟ دلل لما تقول.

س٢: ما المراد بالساعة إذا أطلقت؟ أجب بدليل لكل نوع.

س٣: هل يبعث الناس من قبورهم؟ دَعّم إجابتك بأدلة مبينا حال الذين لم يقبروا.

س٤: ما الأمور التي قرَّر القرءان البعث بها؟ اذكرها باختصار وبدليل لكل نوع.

س٥: كيف يبعث الإنسان يوم القيامة بعد انفصال روحه عن جسده؟ وكيف ترد على من استبعد ذلك؟

النفخ في الصور

والصور: هو قرن خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هائل مدور، فيه أرواح الخلق، ووكل به ملكاً عظيماً من الملائكة وهو إسرافيل، التقمه وهو ينتظر الأمر، فينفخ فيه ثلاث نفخات:

النفخة الأولى: نفخة الفزع.

النفخة الثانية: نفخة الصعق.

النفخة الثالثة: نفخة البعث.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل] هذه نفخة الفزع؛ لأنها على إثرها يتغير العالم، تسير الجبال من أماكنها، وتصير هباء، تصير سراباً، تمر مر السحاب، وتنشق السماوات وتتساقط النجوم، وعند ذلك يفزع الناس، ويخافون من هذا الحدث العظيم، وفي الآيات استثنى الله مخلوقات لا تفزع، قيل: هم الملائكة، وقيل غيرهم، والله أعلم

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ٢].

ثم ينفخ النفخة الثانية، نفخة الصعق وهو الموت، فلا يبقى أحدٌ حيًّا إلا ما استثنى الله جل وعلا، ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾ [الزمر:٦٨]

وكل حي فإنه يموت إلا من استثنى الله جل وعلا، قيل: هي الحور العين في الجنة، والله أعلم.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هذه النفخة الثالثة ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجمعهم، يجمع عظامهم، ولحومهم وشعورهم، فتتآلف وتتكون منها الأجسام وتعود كما كانت، حتى لو أن شخصاً يعرف شخصا في الدنيا، ومر عليه لعرفه، فتطير كل روح إلى جسدها تدخل فيه فيحيون ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾، وأول من يقوم من قبره محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أول من تنشق عنه الأرض وكذلك الخلائق كلهم يقومون من قبورهم بقدرة قادر، وأمر عزيز حكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم يأمرهم الله بالسير إلى المحشر.

الحشر

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالحشر ويكون بعدما ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثالثة فتحيا الأجسام ثم تؤمر فتسير كالجراد المنتشر على وجه الأرض إلى المحشر.

وفي صفته آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] الآيات، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦:٨٥] الآيات، وقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ ١٠] الآيات، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨] وهو نقل الأقدام إلى المحشر كأخفاف الإبل، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ الله فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧] وغير ذلك من الآيات كثير.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآية.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أن رجلا قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: " أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم»، «وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في ذلك: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض. فقال: " الأمر أشد من أن يهمهم ذلك».

الموقف

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالموقف وأن الناس يقومون في هذا الصعيد خمسين ألف سنة كما قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

يقفون على أقدامهم والشمس قريبة من رؤوسهم قدر ميل، والعرق يأخذ منهم كل مأخذ على حسب أعمالهم، فإذا طال عليهم الوقوف قال بعضهم لبعض اذهبوا إلى من يشفع لكم عند ربكم ليريحكم من الموقف إِمَّا إلى الجنة وإما إلى النار ثم يذهبون إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن يعتذر الأنبياء، فيقول أنا لها أنا لها ثم يشفع لهم عند ذلك فيرحهم الله منه، ويحاسبهم وهذه هي الشفاعة الكبرى.

الأدلة من الكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ ٤٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْـمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال: يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه».

وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم».

الأسئلة

س١: تحدث باختصار عما يلي:

أ) تعريف الصور.

ب) اسم الملك الذي ينفخ فيه.

ج) عدد النفخات وأسماؤها.

س٢: اذكر أدلة النفخات الثلاث وما يحصل بعدها.

س٣: من أول من يقوم من قبره؟ ومن أول من يكسى يوم القيامة من الخلائق؟

س٤: متى يُحشر الناس يوم القيامة؟ وكيف يحشرون؟ دلل لما تقول.

س٥: ما حال الناس في الموقف بعد الحشــر؟ وكم مدة هذا الموقف؟ وضّح ذلك بالأدلة.

الحساب

وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ.

الإيمان بمحاسبة الله للخلائق فرض من الفرائض من جحده كفر، لأن الله أخبرنا به في القرآن الكريم، وأخبرنا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة المطهرة، فيجب أن تؤمن بأن الخلائق يحاسبون على أعمالهم، وقد سمى الله يوم القيامة يوم الحساب؛ لأنه اليوم الذي يحاسب الإنسان فيه على عمله.

قَالَ تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١].

وَقَالَ ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٦].

وَقَالَ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام].

وَقَالَ ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الشعراء].

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا آخِذٌ بِيَدِ اِبْنِ عُمَرَ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اَلنَّجْوَى؟ قَالَ سَمِعْتُه يَقُولُ: إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُدْنِي الْـمُؤْمِنَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنْ اَلنَّاسِ، فَيَقُولُ عَبْدِي أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي اَلدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ

اَلْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا اَلْكُفَّارُ وَالْـمُنَافِقُونَ فَإِنَّهُ يُنَادَى عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ هَؤُلَاءِ اَلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ [حديث صحيح]

عَن عَدِيِّ اِبْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ الله لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ" [حديث صحيح]

حساب المؤمنين والكافرين:

هل الحساب حساب مناقشة كما يحاسب التاجر تاجرًا آخر بالدرهم والدينار؟

الجواب: بالنسبة للمؤمنين حسابهم حساب فضل وإحسان وكرم؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحاسب المؤمن، فيخلو به ويضع كنفه عليه (أي ستره) ويقرره بذنوبه فيقول له: (عملت كذا في يوم كذا) حتى يقر ويعترف، فإذا أقر واعترف قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له: " إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ".

أما الكفار والعياذ بالله فإنهم لا يحاسبون هذا الحساب بل يقررون بأعمالهم ويقول لهم: عملتم كذا وكذا فإذا أنكروا تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم، وأرجلهم بما كانوا يعملون، حتى الجلود فإنها تشهد فيقولون لجلودهم: ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت]

يقرر الكفار بأعمالهم، ويُخزون بها والعياذ بالله، وينادى على رؤوس الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود].

فانظر الفرق بين حساب المؤمن وحساب الكفار.

مسألة: هل ينجو من الحساب أحدٌ؟

الجواب: نعم ينجو منه خلق لا يحصيهم إلا الله قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن أمته عرضت عليه وإنَّ منهم سبعين ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون"(١) وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" وعدني ربي أن يدخلَ الجنة من أمتي سبـــعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألفٍ سبــعون ألفاً وثلاثُ حثياتٍ من حثيات ربي"(٢)

والمسلمون في الحساب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مَنْ لا يحاسب بل يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما في الحديث «سبعون ألفاً من هذه الأمة يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب».

القسم الثاني: من يحاسب حساباً يسيراً، وهو العرض وينقلب إلى اهله مسروراً.

والقسم الثالث: من المسلمين من يناقش الحساب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نوقش الحساب عُذِّب» يناقشون الحساب، يذكرون بسيئاتهم وغدراتهم ويناقشون عليها واحدة واحدة.

إن الإنسان الذي لا ينسى يوم الحساب، يحاسب نفسه في هذه الدنيا من أجل أن يستريح في الآخرة، فيتوب من السيئات، ويكثر من الحسنات من أجل أن يسهل عليه الحساب يوم القيامة أو أنه لا يحاسب.

ولهذا يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبته: «أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ١٨﴾

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه أحمد(١/ ٣٠) والترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجه(٤٢٨٦) وصححه الإمام الألباني في "المشكاة" (٥٥٥٦)

ويقول في بقية خطبته "وإنما يصعب الحساب يوم القيامة على أقوام جازفوا الأمور فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر".

الدور الثلاثة

الله جَلَّ وَعَلَا جعل الدور ثلاثة:

دار الدنيا: دار عمل ولا حساب.

ودار البرزخ: دار حساب وهي أول منازل الآخرة، وهي إما نعيم وإما جحيم.

ودار الآخـــرة: دار حساب وجزاءٍ على الأعمال، وكل مكلف لا بد من محاسبته إلا أن الله رحم المؤمنين من كل أمة من أمم الأرض، لأنهم آمنوا به وبرسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره، واجتنبوا كبائر الذنوب فرحمهم وسترهم في الدنيا والآخرة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يدنو أحدكم من ربه حتى يضعَ كنفه عليه، فيقول: عمِلت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عَمِلْتَ كذا وكذا، فيقول: نعم، فيُقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم"[1]

فوائد الحديث السابق:

١- إثبات صفات الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وأنه بصوت مسموع مفهوم.

٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ ستير يستر على عبده المؤمن في الدنيا والآخرة.

٣- تقرير الذنوب فالعبد المؤمن يقر ويعترف بذنوبه وهذا من فضل الله عليه.

٤- غفران الله لذنوب عباده المؤمنين.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٧٠) ومسلم (٢٧٦٨)

تطاير الصحف

فبعد الحساب تتطاير صحف الأعمال، فكل يأخذ صحيفته المؤمن يأخذها بيمينه، والكافر يأخذها بشماله أو من وراء ظهره.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ ١٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] إلى قوله: ﴿الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة:٣٧] وفي آية الانشقاق: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الانشقاق:٧] وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق١٠] فهذا يدل على أن من يؤتى كتابه بيمينه يؤتاه من أمامه، ومن يؤتى كتابه بشماله يؤتاه من وراء ظهره، والعياذ بالله عَزَّوَجَلَّ.

وجاءت أحاديث كثيرة منها: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى عليهم على رؤوس الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود:١٨] وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: قلت يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: " يا عائشة أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار». [رواه أحمد وأبو داود].

الأسئلة

س١: اذكر دليلا من القرءان وآخر من السـنة على ثبوت حسـاب الله للخلائق، وما حكم من أنكر الحساب؟

س٢: هل يُحاسب الكفار أو المؤمنون؟ وكيف يكون حسابهم؟

س٣: هل ينجو من الحساب أحد؟ واذكر دليلا لما تقول.

س٤: عدّد باختصار ما يلي:

أ) أقسام المسلمين في الحساب.

ب) الدور التي يمرُّ بها الإنسان.

س٥: اذكر دليلين من الكتاب والسنة على تطاير الصحف.

س٦: كيف يعطى المسلم صحيفته؟ وكيف يعطاها الكافر؟

الميزان

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالميزان وهو الذي ينصب يوم القيامة لوزن أعمال العباد ثمَّ توزَن، فمَن ثقلت موازينه نجا، ومن خفَّت موازينه هلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧]

والميزان لغة: اسم للآلة التي توزن بها الأشياء، وهي ما تعرف به مقادير الأشياء خفة وثقلاً[١].

وشرعاً: هو ما ينصبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لوزن أعمال العباد ووزن صحائفهم[٢].

الْحِكْمَةُ فِي وَزْنِ الْأَعْمَالِ: امْتِحَانُ الله عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فِي الْعُقْبَى[٣]، وإظهار عدل الله سبحانه لجميع عباده وبيان حكمته البالغة، وحكم أخرى لا اطلاع لنا عليها[٤].

---

(١) لسان العرب (١٣ / ٤٤٦)دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ ،المعجم الوسيط (٢ / ١٠٣٠) طبعة دار الدعوة التعريفات الفقهية ص٢٢٢ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م

(٢) إمداد صادق الأماني بشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني للشيخ عبيد الجابري (ص ١٧٠) دار الميراث النبوي الجزائر العاصمة

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣ / ٢١٥) دار طيبة الطبعة الرابعة ١٤١٧ م ١٩٩٧ هـ ، تفسير الطبري (١٢ / ٣١٣)مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م

(٤) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد الفياض ص٣٦٠

ثبوت الميزان بالكتاب والسنة والإجماع:

وقد قام الدليل من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان وأجمعت الأمة على ذلك.

فمن أدلة الكتاب: قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف].

ومن أدلة الكتاب أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال العلامة السعدي: (يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات)(١).

ومن أدلة السنة في ثبوت الميزان: حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ أَنْ يَصْعَدَ بِشَجَرَةٍ فيأتيه بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ فَضَحِكُوا مِنْهَا فَقَالَ: (مِمَّ تَضْحَكُونَ؟! لَرِجْلُ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ).

قوله: (حُموشة ساقية): بضم أوله أي: دقتهما ونحافتهما، يقال: رجل حمش الساقين أي: دقيقهما.

وأما الإجماع فقد أجمع أئمة العلم والدين على ثبوت الميزان يوم القيامة، وأن له لسانا وكفتين ويميل بالأعمال(٢).

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٢٤) دار الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٣ / ٥٣٨) دار المعرفة بيروت ١٣٧٩

أقسام الناس باعتبار ثقل الميزان وخفته وهما قسمان:

الأول: الذين تثقل موازينهم بالحسنات، وأعظم الحسنات عند الله فرائضه وأعظم الفرائض التوحيد.

الثاني: الذين خفت موازينهم وهم على صنفين:

الصنف الأول: الكفار والمنافقون نفاقاً اعتقادياً فهؤلاء يخلدون في النار خلوداً سرمدياً لا ينتهي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء] وقال تعالى في المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء:].

الصنف الثاني: الموحدون الذين خفت موازينهم؛ لقلة الحسنات وكثرة السيئات، فرجحت سيئاتهم، على حسناتهم فهؤلاء خلودهم في النار معناه طول الإقامة والمكث، وليس خلوداً أبدياً سرمدياً؛ لأن مصيرهم إلى الجنة وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

مسألة: هل الميزان واحد، وإذا كان واحدا فلماذا جاءت الموازين بصيغة الجمع في قوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾؟

قال ابن كثير: الْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ فِيهِ(١) وقال ابن الجوزي: لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنةً بعد وزنة، سمِّيت موازين(٢) وقال البغوي: وقيل جمعه لِأَنَّ الْمِيزَانَ يَشْتَمِلُ عَلَى الْكِفَّتَيْنِ وَالشَّاهِدَيْنِ وَاللِّسَانِ، وَلَا يَتِمُّ الْوَزْنُ إِلَّا بِاجْتِمَاعِهَا(٣) وقيل: للتفخيم وتعظيم أمره

(١) تفسير ابن كثير (٥ / ٣٤٥) دار طيبة الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م

(٢) زاد المسير (٣ / ١٩٢) دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣ / ٢١٦) دار طيبة الطبعة الرابعة ١٤١٧ م ١٩٩٧ هـ

كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴿١٠٥﴾﴾[الشعراء] مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد[١].

مسألة: من أنكر الميزان من أهل البدع؟

وقد خالف المعتزلة والجهمية فأنكروا الوزن وفسروا الميزان بالعدل[٢]، وهذا قول باطل ويرد عليه بالنص والإجماع؛ ولأنه إذا كان المراد بالميزان العدل فلا حاجة إلى أن نعبر بالميزان بل نعبر بالعدل؛ لأن كلمة العدل أحب إلى النفس من كلمة الميزان، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[النحل:٩٠].

مسألة: هل الوزن للأعمال أو للعمل والصحيفة أو للعمل والصحيفة والعامل؟

اختلف العلماء في هذه المسألة والصحيح أن الوزن للثلاثة، فالدليل على وزن العمل قوله تعالى:(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)[٣].

والدليل على وزن العامل قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴿١٠٥﴾﴾[الكهف]

وقد ذكر البخاري في تفسير لهذه الآية بإسناده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ

---

(١) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد الفياض ص٣٦٠

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٣ / ٥٣٨) دار المعرفة بيروت ١٣٧٩

(٣) رواه البخاري برقم (٦٤٠٦) ومسلم برقم (٢٦٩٤)

يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾."[١]

قال العلامة الشنقيطي المالكي: (وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى وَزْنِ الْأَشْخَاصِ)[٢].

ومن الأدلة على وزن العامل: (لَرِجْلُ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ).

وأما وزن الصـحيفة فقد دل عليه حديث صـاحب البطاقة الذي يرويه عَبْدُالله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عن رَسُول الله ﷺ قال: (إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: "فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَيْءٌ")[٣].

وهذا الحديث فيه فوائد:

١- إثبات وزن صحيفة العمل، وهذا كله من كمال عدل الله عَزَّوَجَلَّ وإظهار حكمته البالغة.

٢- أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان[٤].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٢٩)

(٢) أضواء البيان (٣ / ٣٥٣)

(٣) رواه أحمد برقم (٦٩٩٤) والترمذي برقم (٢٦٣٩) وابن ماجه برقم (٤٣٠٠) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند الألباني في الصحيحة برقم (١٣٥) والمشكاة برقم (٥٥٥٩)

(٤) السلسلة الصحيحة للألباني (١ / ٢٦٣) مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى

٣- أن الرجحان يكون بالنزول، فالكف الذي ينزل سواء بالحسنات أو السيئات يكون هو الراجح[١].

٤- عظم شأن التوحيد وأنه السبب الأعظم لدخول الجنة.

٥- الرجل لم يلق الله بحسنة غير التوحيد فدخل الجنة؛ لأنه محقق للتوحيد[٢].

(١) شرح العقيدة الواسطية للعلامة العثيمين (ص٣٨٨) دار ابن الجوزي الطبعة الرابعة ١٤٢٧ هـ.

(٢) إمداد صادق الأماني بشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص ١٧٠) طبعة دار الميراث النبوي

الأسئلة

س١: عرّف الميزان لغة وشرعا، وما الحكمة من وزن الأعمال؟

س٢: اذكر أقسام الناس باعتبار ثقل الموازين وخفتها؟

س٣: مَنْ خالفَ أَهلَ السنة في ثبوت الميزان؟ وما شبهتهم؟ وما الرد عليهم؟

س٤: ما الذي يوزن؟ بين ذلك بالأدلة.

الصراط

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يُؤْمِنُونَ بِالصِّرَاطِ وَأَنَّ اَلنَّاسَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ.

والصراط لغة: هُوَ الطَّرِيقُ الواضح، فإن كان مستقيماً يُقال: هذا صراط مستقيم، وإن كان فيه انحراف واعوجاج يقال: صراط فيه عوج[١]،وأصل الصراط الطريق الخطر السلوك[٢].

وشرعاً: هو جسر ينصب على متن جهنم لمرور العباد عليه حال منصرفهم من المحشر[٣].

ثبوت الصراط بالكتاب والسنة والإجماع

وقد دل على ثبوته الكتاب والسنة والإجماع

فأما الكتاب: فقد قال الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ [يس: ٦٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم:٧١]

---

(١) تفسير الطبري (١ / ١٧٠) طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٠ م تحقيق : أحمد شاكر ، إمداد صادق الأماني بشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص ١٧٠) للشيخ عبيد الجابري طبعة دار الميراث النبوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (١ / ٥٤) دار طيبة الطبعة الرابعة ١٤١٧ م ١٩٩٧ هـ

(٢) فيض القدير للمناوي (١ / ٨٣) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

(٣) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري وشرح النووي على مسلمدار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ

والْوُرُودُ لُغَةً: قَصْدُ الْـماءِ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهِ، وَالْـمُرَادُ مِنْهُ هَا هُنَا الْجَوَازُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ(١).

فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال: (الصراط على جهنم مثل حدّ السيف، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرّون والملائكة يقولون: اللهمّ سلم سلم)(٢).

قال النووي: (وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْـمُرَادَ بِالْوُرُودِ فِي الْآيَةِ الْـمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى جَهَنَّمَ فَيَقَعُ فِيهَا أَهْلُهَا وَيَنْجُو الْآخَرُونَ)(٣)وبه قال ابن مسعود وابن عباس وكعب الأحبار(٤).

وأما السنة: فقد وردت أحاديث كثيرة منها حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حيث سألت رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. أَيْنَ يَكُونُ النَّاس يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: (عَلَى الصِّرَاطِ).

أما الإجماع: فقد أَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى إِثْبَاتِهِ كما قال النووي(٥).

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي الملا القاري الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعةالأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م ، رياض الصالحين للنووي

(٢) رواه الترمذي (٣١٥٩) وأحمد (٤١٢٨) والطبري موقوفاً برقم (١٨ / ٢٣٢) واللفظ له وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند والألباني في الصحيحة (١ / ٦٢١) وقال: (صح أن الحديث مرفوع.).

(٣) شرح مسلم (١٦ / ٥٨) دار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، شرح الطيبي لمشكاة المصابيح الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة الرياض)الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م

(٤) التمهيد لابن عبد البر(٦ / ٣٥٦) طبعة وزارة عموم الأوقاف بالمغرب ١٣٨٧ هـ ،طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي (٣ / ٢٥١)

(٥) شرح مسلم للنووي (٣ / ٢٠) رسالة إلى هذا الثغر للأشعري (ص١٦٣) تحقيق : عبدالله شاكر ، طبعة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة ١٤١٣ هـ

وقد أنكرت بعض طوائف المبتدعة الصراط كالمعتزلة والخوارج[١]، ويرد عليهم بالنص والإجماع.

أنواع الصراط ووصفه ومرور الناس عليه

أ) **صراطٌ معنويٌّ**: هو الطريق الذي نصبه الله لعباده ورضي لهم سلوكه ولم يرض غيره وهو دين الإسلام.

ب) **صراطٌ حسيٌّ**: هو الجسر الذي ينصب على متن جهنم.

قال ابن رجب: "فمن استقام على هذا الصراط (أي: المعنوي) حصل له سعادة الدنيا والآخرة، واستقام سيره على الصراط يوم القيامة "[٢].

وقد جاء في وصف الصراط بأنه دقيق جداً فهو أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، فعن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (بلغني أن الجسر أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف)[٣].

وأول من يجيز الصراط محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل فيقولون: اللهم سلم سلم، فقد جاء عن أبي هريرة في حديث الرؤية والشفاعة وفيه: (وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)[٤].

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١ / ٦١) مكتبة الرشد الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م، معارج القبول للعلامة حافظ الحكمي (٣ / ١٠٣٣) دار ابن الجوزي الطبعة الثامنة ١٤٣٢ هـ ، أوضح المعاني شرح مقدمة القيرواني للعلامة زيد المدخلي (ص١٩٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (٧ / ١٠٣)

(٣) رواه مسلم برقم (١٨٣)

(٤) رواه البخاري برقم (٧٤٣٧) ومسلم برقم (١٨٢)

ويمر الناس عليه بقدر أعمالهم، وقد قسم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المارة على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق:

أ) قسم مسلّم فلا يناله شيء أصلاً.

ب) وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص.

ج) وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم[1].

وعلى الصراط خطاطيف وكلاليب تخطف الناس، ودليل ذلك كله ما جاء عن أبي سعيد الخدري في حديث الرؤية والشفاعة، وفيه قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بعد أن ذكر المرور على الصراط: (فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا..)[2].

وفي حديث أبي هريرة وحذيفة قَالَ عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»[3]، ومعنى مخدوش: من الخدش نَاجٍ أَي على مَا بِهِ من الْأَثر[4]، وخدَش الجِلْدَ: جرحه دون إسالة دَمٍ، جرحَه ظاهريًّا[5].

ومكدوس: أَيْ مَدْفوع، وتَكَدَّس الْإِنْسَانُ إِذَا دُفِع مِنْ ورَائه فسَقط[6]، وأما المكردس: فهُوَ الَّذِي جمعت يَدَاهُ وَرجلَاهُ فِي وُقُوعه[7].

---

(١) شرح مسلم للنووي (٣/ ٢٩)

(٢) روه البخاري برقم (٧٤٣٩)ومسلم برقم (١٨٣)

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٥)

(٤) تفسير غريب ما في الصحيحين لأبي عبدالله الحميدي (ص٧٨)

(٥) مجمع اللغة العربية للدكتور أحمد مختار (١ / ٦١٨) الناشر: عالم الكتابالطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م

(٦) لسان العرب (٦ / ١٩٢)

(٧) تفسير غريب ما في الصحيحين لأبي عبدالله الحميدي (ص٢٢٩) الناشر: مكتبة السنة القاهرة – مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٥ ١٩٩٥

ويختلف الناس في سرعة مرورهم على الصراط فكل منهم على قدر عمله وبيان ذلك في الأحاديث التالية:

١- حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور آنفاً: (الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ... حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا).

٢- حديث أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: (فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا)[1].

٣- حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً...)[2].

٤- حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:(فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم)[3].

ويعطى المؤمنون نوراً ويُقسم على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[الحديد]، ويبين ذلك ما جاء عن عبد الله بْنِ مسعودٍ عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في حديث طويل: (فَيرفَعونَ رؤوسَهُم، فيُعْطيهِمْ نورَهُم على قدْرِ أعْمالِهِم،

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٥)

(٢)رواه مسلم برقم (١٨٧)

(٣) سبق تخريجه

فمنهُمْ مَنْ يُعْطى نورَه مثلَ الجَبَلِ العظيمِ؛ يَسْــعى بَيْنَ أَيْديهِمْ، ومنهم مَنْ يُعْطى نورَه أَصْغَرَ مِنْ ذلك، ومنهم مَنْ يُعْطى مثلَ النخْلَةِ بيمينه، ومنهم مَنْ يُعطَى أَصْغَرَ منْ ذلك حتى يكونَ آخِرُهُم رجلاً يُعْطى نورَه على إِبْهامِ قدَمِه، يضـــــيءُ مرَّةً، ويُطْفَأُ مرَّةً، فإذا أضاءَ قدمُه قدِمَ ومشى، وإذا طفِئ قامَ...)(١).

والمنافقون يعطون نوراً في الأول لأنهم أظهروا الإســلام فيعاملون بمثل ما أظهروا ويعطون نوراً من باب الخداع، كما أنهم خادعوا بإســلامهم ثم ينطفئ نورهم ويبقون في ظلمة(٢)، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد:]، وقوله ﴿مِن نُّورِكُمْ﴾ نستصبح من نوركم، والقبس: الشعلة(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٤٠٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (/)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧ / ٢٤٥) دار الكتب المصرية الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م، معالم التنزيل للبغوي (٨ / ٣٥) دار طيبة الطبعة الرابعة ١٤١٧ م ١٩٩٧ هـ

(٣) تفسير الطبري (١٣ / ١٨١)

القصاص

ومن عقيدة أهل السـنة والجماعة الإيمان بالوقوف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ ويقتص للخلائق بعضـهم من بعض. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَـنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] إلى قوله: ﴿وَاللهُ يَقْضِـي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] الآيات، وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩] الآيات.

والأحاديث كثيرة منها قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أول ما يقضـى بين الناس في الدماء» وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منه اليوم فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسـناته، فإن لم يكن له حسـنات أخذ من سـيئات أخيه فطرحت عليه». وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسـون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضـهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة».

وهل تشمل المحاسبة البهائم؟

أما القصـاص؛ فيشـمل البهائم؛ لأنه ثبت عن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ «أنه يقتص للشـاة الجلحاء من الشـاة القرناء» وهذا قصـاص، لأنها لا تحاسـب حسـاب تكليف وإلزام؛ لأن البهائم ليس لها ثواب ولا عقاب.

الأسئلة

س١: ما الصراط لغة وشرعا؟

س٢: اذكر دليلين أحدهما من الكتاب والآخر من السنة على ثبوت الصراط.

س٣: اذكر نوعي الصراط. وما العلاقة بينهما؟

س٤: ما صفة الصراط؟ ومن أول مَنْ يَمرُّ عليه؟

س٥: ما أقسام الـمارة على الصراط؟ واذكر دليلا على ذلك.

س٦: بين بالأدلة تفاوت الناس في سرعة مرورهم على الصراط.

س٧: ما الفرق بين النور الذي يُعطاه المنافقون والنّور الذي يعطاهُ المؤمنون على الصراط؟ ودَعم إجابتك بالأدلة.

س٨: تكلم عن القصاص بين الناس. وهل يشمل البهائم؟

الإيمان بالحوض

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له حوض عظيم ترد عليه أمته يوم القيامة.

الحوض، معناه لغة وشرعاً والفرق التي أنكرته:

والحوض في اللغة: مجمع الماء، يقال حاض الماء يحوضه إذا جمعه ومنه حوض النيل وحوض دجلة والفرات(١).

وفي الشرع: هو حوض ترده أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصب فيه ميزابان من الجنة.

ولتعلم أيها الطالب الموفق أن هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة؛ لأن هناك من أنكره من أهل البدع، وهم المعتزلة والخوارج مع أن الأحاديث تواترت فيه وبلغ عدد رواتها حوالي ثمانين صحابياً.

قال ابن حجر: (قال القرطبي في المفهم، تبعاً للقاضي عياض: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد خص نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحوض المصرح باسمه وصفته، وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي)(٢) وكذلك جاء عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع قومًا يتذاكرون الحوض، فقال: ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم

(١) فتح الباري (١١/ ٤٦٦)

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٦٧)

يَتَمارون في الحوض، لقد تركت عجائز خلفي، ما تصلي امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ ظُهُورِنَا حَتَّى إِذَا غَفَا إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ يَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ(٢).

قال النووي: وَفِيهِ إِثْبَاتُ الْحَوْضِ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ(٣).

الكوثر، معناه وعلاقته بالحوض

وَالْكَوْثَرُ فَوْعَلٌ مِنَ الْكَثْرَةِ سُمِّيَ بِهَا النَّهَرُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَآنِيَتِهِ وَعِظَمِ قدره وخيره(٤).

وقد اختلف العلماء في تفسير الكوثر على ستة عشر قولاً أصحها أنه نهر في الجنة، وأنه حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال القرطبي.

وتفسير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للكوثر في هذا الحديث بأنه نهر في الجنة لا ينافي تفسيره بالحوض؛ لأن الكوثر في الجنة ويصب في الحوض الذي يكون في عرصات

---

(١) مسند أبي يعلى(٦/ ٩٦)

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٠٠)

(٣) شرح مسلم للنووي (٤ / ١١٣).

(٤) فتح الباري (٨ / ٧٣١)

القيامة ودليله ما جاء عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال عن الحوض: (يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ)(١).

واعلم أيها الطالب الموفق أن لكل نبي حوضاً(٢) ويدل على ذلك ما ثبت عن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً)، ولكن اعلم أن حوض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أكملها وأتمها؛ لأنه يمد من الكوثر.

مسألة: ما صفة الحوض؟

وقد بينت الأحاديث الصحيحة أوصافاً للحوض ومن ذلك:

أ) **مساحته:** حيث أن طوله شهر وعرضه شهر، وهذه المسافة باعتبار ما هو معلوم في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من سير الإبل المعتاد، وقد قرب عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ إلى أذهان أمته بتمثيلها بالمسافة بين المدن، ومن ذلك أنه مثلها بالمسافة من المدينة إلى صنعاء، وكالمسافة بين الكعبة وبيت المقدس وغير ذلك، وذكره لهذه المسافات ليس معناه تحديد المسافة وإنما للإعلام بعظمها وسعة الحوض(٣).

ب) **لونه وطعمه ورائحته:** فقد ثبت أن ماء الحوض أبيض من اللبن وطعمه أحلى من العسل ورائحته أطيب من ريح المسك.

ج) **آثاره:** أن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٠٠)

(٢)وما جاء من الأحاديث أن نبي الله صالحاً ليس له حوض وأن حوضه ضرع ناقته فإنه لا يثبت، بل هو موضوع ذكره العقيلي في الضعفاء وابن الجوزي في الموضوعات.

(٣) شرح مسلم (١٥/ ٥٨)

ومن الأحاديث التي جاء فيها ذكر هذه الأوصاف:

١- عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا)[١]، والكيزان: جمع كوز وهو الكوب[٢].

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ الْـمَقْدِسِ، أَبْيَضَ مِثْلَ اللَّبَنِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٣].

مسألة: هل هناك من يطرد من حوضه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترد على حوضه وتشرب منه، وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعرف أمته، وإن أقواماً يطردون ويمنعون من الحوض، فعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ)[٤].

وأيلة: مَدِينَة من بِلَاد الشَّام على سَاحل الْبَحْر، وأيلة أَيْضا جبل يَنْبع بَين مَكَّة وَالْـمَدِينَة[٥].وأوذ بمعنى: أطرد[٦].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٧٩)

(٢) لسان العرب (٥ / ٤٠٣) دار صادر بيروت الطبعة الثالثة

(٣) رواه ابن ماجه برقم (٤٣٠١) وقال الألباني :صحيح لغيره صحيح الترغيب والترهيب (٣ / ٤٤٤)

(٤)رواه مسلم برقم (٢٤٨)

(٥) شرح مسلم للنووي (١٥ / ٥٧)

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٢٨٠)

فدل الحديث على أن هناك أقواماً يطردون من حوضه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقد بينت الروايات الأخرى سبب هذا الطرد فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّك لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي" وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: سُحْقًا: بُعْدًا يُقَالُ: ﴿سَحِيقٌ﴾: بَعِيدٌ، سَحَقَهُ وَأَسْحَقَهُ أَبْعَدَهُ[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٨٣)

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان

من عقيدة أهل السـنة والجماعة الإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، أعدَّ الله الجنَّةَ لأوليائه، وأعدَّ النَّارَ لأعدائه، فمن الآيات التي فيها إعداد الجنَّة لأوليائه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة].

وقولـه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[آل عمران]. وقوله: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[الحديد]

ومن الآيات التي فيها إعداد النار لأعدائه قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾[الفتح]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[آل عمران]. وقوله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[البقرة٢٤].

ويدلُّ من السُّنَّة لكون الجنَّة والنَّار موجودتَين الآن حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في صلاة الكسوف، وفيه: "قالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولتَ شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كَعْكَعْتَ، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إنِّي رأيتُ الجنَّةَ، فتناولتُ عنقوداً،

ولو أصبته لأكلتُم منه ما بقيت الدنيا، وأُريتُ النار، فلَم أرَ منظَراً كاليوم قطُّ أفظع، ورأيتُ أكثرَ أهلها النساء... "(١) الحديث.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ الله عَلَيْهِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ" حديث صحيح

عقيدة الجهمية والمعتزلة في خلق الجنة والنار

وأمَّا ما جاء عن بعض المبتدعة كالجهمية والمعتزلة من أنَّهما لا تُخلقان إلاَّ يوم القيامة؛ لأنَّ خلقَهما قبل ذلك عبثٌ، حيث تبقيان مدَّة طويلة دون أن ينتفع بالجنَّة أحدٌ ودون أن يتضرَّر بالنَّار أحد، فذلك قولٌ باطل، ويدلُّ لبطلانه وجوه:

الأول: ما جاء في الآيات والأحاديث الدَّالة على خَلْقِهما ووجودِهما قبل يوم القيامة، ومن ذلك ما تقدَّم قريباً.

الثاني: أنَّ وجودَ الجنَّة فيه ترغيبٌ بها وتشويقٌ إليها، ووجودَ النار فيه تحذيرٌ منها وتخويف.

الثالث: أنَّه قد جاء في نصوص الكتاب والسُّنَّة ما يدلُّ على حصول الانتفاع بنعيم الجنَّة قبل يوم القيامة، وما يدلُّ على التضرُّر بعذاب النار قبل يوم القيامة، قال الله عَزَّوَجَلَّ في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر].

(١) رواه البخاري (١٠٥٢)،ومسلم (٩٠٧).

فالآيةُ تدلُّ على أنَّهم يُعذَّبون في النار في قبورهم، وإذا حصـل البعث انتقلوا إلى عذاب أشدَّ.

وأمَّا الجنَّة: فقد جاء في الحديث "أنَّ أرواح الشهداء في أجواف طير خُضر، لها قناديل معلَّقة بالعرش، تسرحُ من الجنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل"(١)

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إنَّما نسَمة المؤمن طائرٌ يعلقُ في شجر الجنَّة حتى يُرجع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى جسده يوم يبعثُه"(٢)، والنسمة هي الروح.

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل في موعظته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند القبر الذي يُلحَد، قال في المؤمن: "فأَفرِشوه من الجنَّة، وألبِسوه من الجنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجنَّة، قال: فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويُفسَح له في قبره مدَّ بصره"، وقال في الكافر: "فأفرِشوا له من النَّار، وافتحوا له باباً إلى النَّار، فيأتيه من حرِّها وسَمومِها، ويضيق عليه قبرُه حتى تختلف أضلاعُه"(٣)

والأحاديث في عذاب القبر والاستعاذة بالله منه كثيرة، وهذه الأدلَّة تدلُّ على أنَّ المؤمنين يُنعَّمون في قبورهم، والكافرين يُعذَّبون فيها، والنَّعيمُ والعذابُ يكون للأرواح والأجساد.

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٧) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) "المسند" (١٥٧٧٨)

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٨٥٣٤) وهوحديث حسن.

الجنة والنار باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان

ومن اعتقاد أهل السـنة والجماعة أن الجنَّة والنَّار باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان، وأهل الجنَّة منعَّمون فيها إلى غير نهاية، والكفَّار مُعذَّبون في النار إلى غير نهاية، ومن الآيات التي جاءت في بقاء الجنَّة وخلودِ أهلها فيها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[البقرة]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾[الكهف]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨﴾[الحجر].

ومن الآيات التي جاءت في بقاء النار وخلود الكفار فيها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾[البقرة]، وقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾[البقرة]، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾[المائدة]، وقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾[المدثر]

الأسئلة

س١: هل الجنة والنار خلقتا؟

س٢: اذكر دليلا عن حقيقة خلق الجنة وآخر عن النار.

س٣: ما عقيدة المعتزلة والجهمية في خلق الجنة والنار؟ وما الرد عليهما؟

س٤: كم مُدّة بَقاء الجنة والنَّار؟ اذكر أدلة على ذلك.

الشفاعة

من عقيدة أهل السـنة والجماعة الإيمان بشـفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن يأذن له الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالشفاعة بأنواعه المثبتة من الكتاب والسنة.

تعريف الشفاعة: لغة: جعل الشيء شفعاً، والشَّفْعُ: خِلافُ الوَتْرِ، وهو الزَّوْجُ[١].

وفي الاصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[٢].

والشفاعة في الآخرة معناها: الدعاء[٣].

أقسام الشفاعة:

أ) شفاعة منفية: هي التي تطلب من غير الله استقلالاً.

ب) شفاعة مثبتة: هي التي تطلب من الله.

شروط الشفاعة المثبتة:

١- رضا الله عن الشافع.

٢- رضاه عن المشفوع له بأن يكون موحداً، ودليل ذلك حديث أبي هريرة قال: قلت يَا رَسُولَ الله مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فقال: (لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا

---

(١) القاموس المحيط (١ / ٧٣٣) الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م ، شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين (ص٣٠٦)

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين (ص٣٠٦)

(٣) شرح لمعة الاعتقاد للعلامة الفوزان (ص٢١٠) التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص٢١٣)

هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)(١).

ويستثنى من ذلك الشفاعة العظمى في الموقف فإنها عامة لجميع الناس.

٣ – إذن الله في الشفاعة.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[النجم]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[طه].

أنواع الشفاعة المثبتة:

وهي سبعة: ثلاثة خاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأربعة له ولغيره من الملائكة والأنبياء والصالحين والأولياء وغيرهم، وبيانها كما يلي:

الشفاعات الخاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

النوع الأول: الشفاعة العظمى وهي خاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيشفع في أهل الموقف لفصل القضاء بعد أن يعتذر الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام عن الشفاعة حتى تنتهي إليه وهي المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء].

لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون، وقد جاء عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن هذه الآية فقال: (الشفاعة)(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٩٩)

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه برقم (٣١٣٧)

وعن ابْن عُمَرَ قال: (إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ الله المَقَامَ المَحْمُودَ)(١).

وقد جاء بيانها في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال:(أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْـمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ الله وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ،

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٨)

فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ الله فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ الله، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْـمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ الله، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ...)(١).

النوع الثاني: شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) ومسلم برقم (١٩٤)

(٢) رواه مسلم برقم (١٩٦)

النوع الثالث: شفاعته في عمه أبي طالب فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: (لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ)[1].

الشفاعات التي له ولغيره من الملائكة والأنبياء والصالحين والأولياء:

النوع الرابع: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

النوع الخامس: شفاعته في خروج عصاة الموحدين من النار ومن المعلوم أن الذين يدخلون النار صنفان:

الأول: الكفَّار، وهؤلاء يبقون في النار أبد الآباد، لا سبيل لهم إلى الخروج منها، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة: ٧٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾

والثاني: مسلمون عُصاة، وهؤلاء إذا دخلوا النارَ عُذِّبوا فيها على قدر جُرمهم، ثم يخرجون منها بما عندهم من الإيمان وشفاعة الشافعين.

والأحاديث فيها متواترة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدّعوا من أنكرها ومنها:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، أَوِ

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٨٨٥)، (٦٥٦٤) ومسلم برقم (٢٠٩)

الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شيئا» (١).

توجيه ما ورد من ذكر تخليد عصاة الموحدين

وأمَّا ما جاء من ذكر الخلود في النار لبعض العُصاة، كما في قوله: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء:٩٣]، وكما في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»(٢) فإنَّ ذلك الخلودَ خلودٌ نسبيٌّ، يُرادُ به طول البقاء، لكنَّه ليس كخلود الكفَّار الذين يبقون في النار إلى غير نهاية؛ لأنَّ كلَّ ذنب دون الشِّرك تحت مشيئة الله.

وقال شيخ الإسلام هَذَا وَعِيدٌ مُطْلَقٌ قَدْ فَسَّرَهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٣)

النوع السادس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٣٨٥)

مسألة: ما الطوائف التي ضلت في الشفاعة؟

وقد ضل في الشفاعة بعض الطوائف وهم على طرفي نقيض(١):

الطرف الأول: أنكر الشفاعة وهم الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالكبائر التي دون الشــــرك، ويرون صــاحبها خالدا مخلدا في النار، ولا تنفعه شـفاعة الشــافعين، واســتدلوا بآيات نزلت في الكفار كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

وهذه الآية خاصـة بالكفار الذين كذبوا باليوم بالآخر بدلالة الآيات التي قبلها ومنها: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر].

الطرف الثاني: الذين يغلون في إثبات الشفاعة وهم من يستغيثون بالأموات ويلجؤون إلى القبور ويدعون أهلها ويطلبون منهم الشـفاعة، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فهؤلاء ظنوا أن الشفاعة سهلة وما علموا أن الأنبياء حتى أولو العزم يقولون في ذلك اليوم العظيم: (نفسي نفسي) (إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أعطي الشفاعة العظمى تجد أنه يطلب هذه الشفاعة بأمور عظيمة حيث قال: (فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي).

(١) إتحاف القارئ بالتعليقات على شرح السنة للإمام البربهاري للعلامة الفوزان (١ / ١٣٨)

وأهل السنة والجماعة يرون أن أصحاب الكبائر قسمان[١]:

١- قسم تاب توبة نصوحاً فتاب الله عليه بل وعد بتبديل سيئاته حسنات.

٢- قسم مات مصـــــراً على كبيرته، وهو من أهل التوحيد والصلاة، فهذا تحت المشيئة الإلهية، إن شاء الله رحمه فلم يدخله النار، بل أدخله الجنة كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾[الأعراف]، وإن شاء الله عذبه بقدر جريمته ويكون مآله إلى الجنة.

(١) أوضح المعاني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص١٧١)

الأسئلة

س١: عرف الشفاعة لغة واصطلاحا؟ واذكر أقسامها.

س٢: ما شروط الشفاعة؟ واذكر أدلة عليها.

س٣: اذكر الشفاعات الخاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س٤: اذكر الشفاعات التي يشترك فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره.

س٥: لماذا سميت الشفاعة العظمى بالمقام المحمود؟

س٦: هل جميع أصناف أهل النار يشفع فيهم فيخرجون منها؟ بين ذلك بدليل.

س٧: كيف توجه النصوص التي جاء فيها تخليد عصاة الموحدين في النار؟

س٨: ما الطوائف التي ضلت في الشفاعة؟ وما أقوالهم؟ وما الرد عليهم؟

س٩: بين عقيدة أهل السنة في أهل الكبائر.

رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة

من عقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ اَلْـــمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بأبصارهم في الدار الآخرة، وهي أكبر نعيم يحصل لهم في الجنة.

وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع:

أولا: الكتاب:

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة:٢٢]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المطففين: ١٥] قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمَّا حُجب هؤلاء في حال السخط، دلَّ على أنَّ المؤمنين يرونه في حال الرِّضَى».

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]الحُسنَى: الجنَّة، والزيادة: النَّظرُ إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ، فسَّرها بذلك رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما في صحيح مسلم عن صُهيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إذا دخل أهلُ الجنَّة الجنَّة، قال: يقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألَمَ تبيِّض وجوهَنا؟ ألَمَ تُدخلنا الجنَّة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطُوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم عَزَّوَجَلَّ، ثم تلا هذه الآية﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾».

وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤] وهو يدلُّ على إثبات الرؤية بدون إدراك، فهو يُرى ولا يُدرَك، أي: لا يُحاطُ به رؤيةً، كما أنَّه يُعلمُ ولا يُحاطُ به علماً، ونفيُ الإدراك وهو أخصُّ، لا يستلزم نفي الرؤية وهي أعمُّ.

وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]،وموسى عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ سأل اللهَ أمراً مُمكناً، ولَم يسأله مستحيلاً، والله عَزَّوَجَلَّ شاء ألاَّ يُرَى إلاَّ في الدار الآخرة؛ لأنَّ رؤيتَه أكملُ نعيم يكون فيها، وقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي ﴾ أي: في الدنيا.

ثانيا: السنة:

قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته"[(١)] متفق عليه. وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الله ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى: ١١].

ثالثا: الإجماع

أجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل آية سورة المطففين.

عقائد الناس في الرؤية:

وقد ذكر أهل العلم بالتتبع أن الناس في الرؤية على ثلاثة أقسام:

القســم الأول: نفوا رؤية المؤمنين لربهم عَزَّوَجَلَّ في الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم أهل الاعتزال والخوارج، ويحتجون بما لا يصلح لهم دليل، يحتجون بقول الله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام]

والرد عليهم كما ذكر ابن عباس وغيره ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾أي: لا تحيط بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ لأن الله لا يحيط به شيءٌ من مخلوقاته بل هو المحيط بجميع مخلوقاته، فنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٣)، ومسلم (٦٣٣)

القسم الثاني: أثبتوا الرؤية في الدنيا والآخرة لبعض الناس، وهم غلاة التصوف من عبدة القبور والأضرحة، ممن يدّعون أنهم على الحقيقة وبقية الناس على الشريعة! وكأنهم يستهينون بشريعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتقرون أهلها لا سيما أهل الحديث منهم، وهؤلاء ضُلال لا خير فيهم.

القســم الثالث: وســط وهم الذين يثبتون رؤية المؤمنين لربهم في الجنة وينفون الرؤية في الدنيا، ففي الدنيا لا يراه أحد من خلقه والأدلة على ذلك كثيرة، فلما قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾[الأعراف: ١٤٣].

أي: في الدنيا، فالآية صريحة بأنه لا يراه أحد في الدنيا لضعف البشر وضعف قواهم، إذ إن الله لما تجلى للجبل جعله دكاً، فما مقدار بدن الإنسان الضعيف؟ فلا يستطيع أن يثبت لرؤية ربه.

أما في الجنة فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعطي المؤمنين من الكمال والقوة ما يتمكنون به ويقدرون على رؤية الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولما سئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيت ربك؟ قال: " نُورٌ أَنّى أَرَاهُ "(١) أي: كيف أراه.

وتبين بهذا أن رؤية المؤمنين لربهم ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع ولا يجحد ذلك وينكره إلا ضال مضل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾[القيامة]. أي: ناضرة وجوه حسنة ومضيئة أكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ بالحسن والبهجة والسرور على وجوههم.

ومعنى إلى ربها ناظرة: أي إلى الله عَزَّوَجَلَّ، تنظر إلى الله حقيقة، لأنه يتجلى سبحانه يوم القيامة لعباده المؤمنين، فيرونه في عرصات القيامة، ويرونه في الجنة،

---

(١) رواه مسلم (١٧٨)

فإذا رأوه صارت رؤية الرب الكريم من أكبر النعيم وأعظمه، والذين يتمتعون به، ينسون المآكل والمشارب والمساكن وكل شيء بالنظر إلى وجه عَزَّوَجَلَّ.

الأسئلة

س١: هل يرى المؤمنون ربهم في الآخرة؟ دلل لما تقول من الكتاب والسنة.

س٢: انقسـم الناس في رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقسـاما. اذكرها. ورجح بالأدلة ما تراه حقّا.

س٣: ما الردُّ على من ينكر الرؤية بحجة أنه يقول أنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؟

س٤: اشرح قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

س٥: قال تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ما العلة في عدم تمكن البشر من رؤية الله في الدنيا؟

الركن السادس
(الإيمان بالقدر)

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالقدر خيره وشره، وأَنَّ الله علم ما الخلق عاملون وكتبه في اللوح المحفوظ وأنه ما في السماوات والأرض، من حركةٍ ولا سكونٍ إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكونُ في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير.

تعريف القدر لغة وشرعا

القدر لغة: من التقدير يقال قَدَّرت شيئاً لأقدره تقديراً، إذا أحطتُ بمقداره وعلمته[(١)].

شرعاً: تقدير الله سبحانه كل ما في الكون تقديراً يسبق وقوعه وفق علمه بها وكتابته في اللوح المحفوظ.

والإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يكون العبد مؤمناً حقيقة الإيمان حتى يستجمعها كلها، ولذا لما جاء خبر القدرية إلى الصحابي عبدالله بن عمر فقيل له عنهم أنهم يقولون: (لا قدر، وأن الأمر أنف) أنه لم يسبق قدر، فلم يسبق كتابة وتقدير، ولم يسبق علم بالأشياء التي يأتي بها الناس، وأن العباد يخلقون أفعالهم.

فأجاب أولاً ببيان منزلة هؤلاء وحالهم فقال: (أَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي) ثم بين أنّ من لا يؤمن بالقدر فلا يُقبلُ منه شيءٌ من العمل فقال: (وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، واستدل على الإيمان بالقدر بحديث: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٢)

ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[١]، فهؤلاء أنكروا أصلاً من أصول الدين وركناً من أركان الإيمان التي من جحد بعضها فهو كافر.

مراتب القدر:

المرتبة الأولى: العلم وهي الإيمان بعلم الله الأزلي الذي لا بداية له، فالله تعالى ليس له بداية، وليس لعلمه بداية، علم كل ما هو كائن، في الأزل قبل أن يخلق اللوح المحفوظ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق].

المرتبة الثانية: الكتابة في اللوح المحفوظ، فقد خلق الله تعالى اللوح المحفوظ، وخلق القلم فأمره بكتابة كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وقد جرى القلم بكتابة ما هو كائن، وذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، يقول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢] ويقول سبحانه: ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦﴾ [هود].

وقَالَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: (كَتَبَ الله مَقَادِيرَ اَلْخَلَائِقِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اَلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى اَلْـمَاءِ)[٢].

المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة، وهي الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير].

واعلم أن قضاء الله كمشيئته بالحكمة؛ فهو لا يقضي قضاء إلا والحكمة تقتضيه، كما لا يشاء شيئا إلا والحكمة تقتضيه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ

---

(١) رواه مسلم برقم (١)

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣)

﴿يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]؛ فيتبين أنه لا يشاء شيئا إلا عن علم وحكمة، وليس لمجرد المشيئة، خلافا لمن أنكر حكمة الله من الجهمية وغيرهم.

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد طِبقاً لما علمه أزلاً، وطبقاً لما كتبه في اللوح المحفوظ ولما شاء الله عَزَّوَجَلَّ، والله تعالى هو خالق العباد، وخالق أفعال العباد، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات].

مثال لهذه المراتب الأربعة: وجودنا في مكان معين مجتمعين، فالهيئة التي نكون عليها والكيفية قد سبق بها علم الله تعالى أزلاً، فقد سبق علمه تعالى بأننا سنجتمع في ذلك الوقت وفي هذا المكان، وكتب الله ذلك في اللوح المحفوظ، وشاء الله أن نجتمع، ثم حصل اجتماعنا وأوجد الله ذلك الذي علمه وكتبه وشاءه، فتجتمع هذه الأمور الأربعة في كل مقدر.

الفرقُ بين الإرادتَين:

أ) إنَّ الإرادةَ الكونيَّة تكون عامَّةً فيما يُحبُّه الله ويَسخطُه ولا بدَّ من وقوعها.

ب) وأمَّا الإرادة الشرعيَّة فلا تكون إلاَّ فيما يُحبُّه الله ويرضاه، وتقع في حقِّ مَن وفَّقه الله، وتتخلَّف في حقِّ مَن لم يحصل له التوفيقُ من الله.

وهناك كلماتٌ تأتي لمعنى كونيٍّ وشرعي، منها القضاء، والتحريم، والإذن، والكلمات، والأمر وغيرها.

الكتابة في اللوح المحفوظ لا تتغير ولا تتبدل:

ما قدَّره الله وقضاه وكَتَبَه في اللوح المحفوظ لا بدَّ من وقوعه، ولا تغييرَ فيه ولا تبديل، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

وأمَّا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ فقد فُسِّر بأنَّ ذلك يتعلَّق بالشرائع، فينسخ اللهُ منها ما يشاء ويُثبتُ ما يشاء، حتى خُتمت برسالة نبيِّنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، التي نَسخت جميع الشرائع قبلها، وفُسِّر بالأقدار التي هي في غير اللَّوح المحفوظ، كالذي يكون بأيدي الملائكة.

مسألة: الطوائف التي ضلت في القدر

وقد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: (الجبرية) الذين قالوا: إن العبد مجبر على عمله، وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال الله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، وقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾... الآية وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

الثانية: (القدرية) الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل.

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

وأهل السُّنَّة والجماعة وسَطٌ بين الجبرية الغلاة في الإثبات، والقدرية النفاة؛ فإنَّهم أثبتوا للعبد مشيئةً، وأثبتوا للربِّ مشيئةً عامَّة، وجعلوا مشيئةَ العبد تابعةً لمشيئة الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾

فلا يقع في مُلك الله ما لَم يشأه الله، بخلاف القدرية القائلين: إنَّ العبادَ يخلقون أفعالَهم، ولا يُعاقب العباد على أشياء لا إرادة لهم فيها ولا مشيئة، كما هو قول الجبرية، وبهذا يُجابُ عن السؤال الذي يتكرَّر طرحُه، وهو:

مسألة: هل العبدُ مسيَّرٌ أو مُخيَّر؟

فلا يُقال: إنَّه مسَيَّرٌ بإطلاق، ولا مُخيَّرٌ بإطلاق، بل يُقال: إنَّه مُخيَّر باعتبار أنَّ له مشيئةً وإرادةً، وأعماله كسب له يُثاب على حَسَنها ويُعاقَب على سيِّئها، وهو مسيَّرٌ باعتبار أنَّه لا يحصل منه شيءٌ خارجٌ عن مشيئة الله وإرادته وخلقه وإيجاده.

كلٌّ ميسر لما خلق له:

هدايةُ كلِّ مُهتد وضلالُ كلِّ ضال، كلُّ ذلك حصل بمشيئة الله وإرادته، والعبادُ قد بيَّن الله لهم طريقَ السعادة وطريق الضلالة، وأعطاهم عقولاً يُميِّزون بها بين النافع والضار، فمَن اختار طريقَ السعادة فسلكه انتهى به إلى السعادة، وقد حصل ذلك بمشيئة العبد وإرادته، التابعة لمشيئة الله وإرادته، وذلك فضلٌ من الله وإحسان، ومَن

اختار طريقَ الضلالة وسلكه انتهى به إلى الشقاوة، وقد حصل ذلك بمشيئة العبد وإرادته، التابعة لمشيئة الله وإرادته، وذلك عدلٌ من الله سبحانه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾، أي: طريقَي الخير والشرِّ، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ وقال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

والهدايةُ هدايتان: هدايةُ الدَّلالة والإرشاد، وهذه حاصلةٌ لكلِّ أحد، وهداية التوفيق، وهي حاصلةٌ لِمَن شاء اللهُ هدايتَه.

ومن أدلَّة الهداية الأولى قول الله عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾، أي: أنَّك تدعو كلَّ أحد إلى الصراط المستقيم.

ومن أدلَّة الهداية الثانية قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ﴾ وقد جمع الله بين الهدايتَين في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾، فقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: كلَّ أحد، فحُذف المفعول لإرادة العموم، وهذه هي هداية الدلالة والإرشاد، وقوله: ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ أظهرَ المفعولَ لإفادة الخصوص، وهي هداية التوفيق.

مسألة: فِي الْإِيمَانِ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

مِنْ عقيدة أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللَّوْحَ الْـمَحْفُوظَ وَالْقَلَمَ حَقٌّ يُؤْمِنُونَ بِهِمَا، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]، وَقَالَ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد]. وَقَالَ: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [ق].

قال الإمام ابنُ أبي زمنين: واللوح والقلم ذكرهما الله في كتابه الكريم، أما اللوح فالمراد به اللوح المحفوظ، وهو الذي كتب فيه كل شيء، كما ثبت في

الحديث: عن عبادة بن الصــامت أنه قال لابنه: " يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني! سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: من مات على غير هذا فليس مني "

" إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق القلم ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الســاعة بما هو كائن إلى يوم القيامة" فيســمى اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه المقادير، ويسمى الكتاب الحفيظ؛ لأنه حفظ فيه كل شيء، ويسمى الإمام، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[يس] أي اللوح المحفوظ.

والقلم هو الذي أمره الله أن يكتب جميع الكائنات في عالم السموات وعالم الأرض من ذوات وأعمال ومخلوقات على اختلاف أصناف العوالم، عالم الملائكة وعالم الجن وعالم الإنس وعالم الشياطين وعالم الطير وعالم الوحش إلى غير ذلك من العوالم التي لا يحصيها إلا خالقها، كل ذلك قد كتب كما كتبت السعادة لأهلها والشقاوة لأهلها، وأهل الجنة وأهل النار كل ذلك جرى به القلم بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

مسألة: أنواع كتابة مقادير الخلائق:

يدخل في ذلك خمسة من التقادير كلها ترجع إلى العلم:

التقدير الأول: كتابة ذلك قبل خلق الســماوات والأرض بخمســين ألف ســنة، عندما خلق الله القلم وهو التقدير الأزلي.

قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] الآيات، وفي الصحيح: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء»

التقدير الثاني: التقدير العمري قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢].

وفي الصحيحين قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»

التقدير الثالث: التقدير الحولي في ليلة القدر قال الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الدخان] وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت أو حياة ورزق ومطر، حتى الحجاج يقال: يحج فلان، ويحج فلان.

التقدير الرابع: التقدير اليومي، وهو تنفيذ كل ذلك إلى مواضعه قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

ويقول النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» رواه مسلم.

الأسئلة

س١: عرف القدر لغة وشرعا. وما عقيدة أهل السنة في القدر؟ دلل لما تقول.

س٢: اذكر مراتب القدر. مع ذكر دليل لكل مرتبة.

س٣: اضرب مثالا لحدثٍ مُعيّن، وبَيِّن فيه كيف مر بالمراتب الأربعة.

س٤: ما الفرق التي ضلّت في القدر؟ وكيف تردُّ على شبههم.

س٥: اذكر أنواع الهداية بالأدلة.

س٦: اذكر باختصار ثمرات الإيمان بالقدر.

المصادر والمراجع

- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- سنن النسائي.
- سنن أبي داوود.
- سنن الترمذي.
- سنن ابن ماجه.
- مستدرك الحاكم.
- إمداد صادق الأماني بشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.
- أوضح المعاني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.
- التمهيد لابن عبد البر المالكي.
- مقالات الإسلاميين.
- الإيمان لابن تيمية.
- معارج القبول.
- جامع العلوم والحكم.
- ذم الكلام.
- تفسير الطبري.
- شرح ابن بطال على البخاري.
- شرح النووي على مسلم.
- مسند الإمام أحمد.
- أعلام السنة المنشورة.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.
- الصحاح للجوهري.
- فتح الباري لابن حجر.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير البغوي.
- الرد العلمي البليغ على من أنكر رفع المسيح.
- فتح القدير للشوكاني.
- الشريعة للآجري.
- لوامع الأنوار البهية.
- لسان العرب لابن منظور.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.
- شرح العقيدة الواسطية للعلامة العثيمين.

المحتويات

وزارة التعليم
MINISTRY OF EDUCATION

الحكومة الليبية المؤقتة
LIBYAN INTERIM GOVERNMENT

المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية
GENERAL CENTER FOR EDUCATION
CURRICULUM AND RESEARCH STUDIES

التاريخ: 2018,09,10
الرقم الإشاري: 2018.30.264

السيد المحترم: رئيس مجلس الإدارة بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية

بداية لكم ولكل العاملين معكم أصدق التحايا سائلين العلي القدير لنا ولكم التوفيق و السداد لخدمة البلاد والعباد.

بالإشارة إلى كتابكم رقم 1439/10/20 هجري ـ الموافق: 2018/07/04 ميلادي بشأن اعتماد المناهج التي تدرس بالمعاهد الدينية التابعة للحكومة الليبية المؤقتة من قبل المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية وبناء على تأشيرة السيد وكيل وزارة التعليم بالإجراء، وإلى كتابنا رقم 2018.5.239 المؤرخ في 2018/08/28 ميلادي الموجه للسيد وكيل وزارة التعليم بشأن مخاطبتكم لمعالجة الملاحظات الواردة في خلاصة عمل اللجنة المكلفة بالمراجعة، وعلى كتاب السيد مدير الادارة العامة للمعاهد الدينية رقم أ.م.د 2018/200/2377 المؤرخ في 1439/12/26 هجري الموافق :2018/09/06 ميلادي بشأن إنجاز التصليحات والتصويبات.

عليه لامانع من اعتماد المناهج والمقررات الدراسية الخاصة بالمعاهد الدينية التابعة لهيئتكم الموقرة و التي تم مراجعتها من قبل اللجنة المختصة وفق كتاب السيد مدير إدارة المناهج رقم 2018.7.263 المؤرخ في 2018/09/10 ميلادي، مع التأكيد على ضرورة تنفيذ ومعالجة الملاحظات الواردة بالتقرير الفني المرفق قبل أنجاز أي أعمال تتعلق بالتدريس أو بطباعة الكتب.

تفضلوا بالاستلام
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد علي المهشهش

مدير عام مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

صورة الى/
- السيد معالي وزير التعليم
- السيد وكيل وزارة التعليم
- السيد / مدير ادارة المناهج
- السيد / مدير لادارة الكتاب المدرسي والمطابع
- الملف الدوري العام

رفـ 2018 rafek

COU.MANG@MINISTRYOFEDUCATION.LY